المجلد ٤٧

المجلد السابع والأربعون

شعارنا الوحيد: إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

العدد التاسع — مجلة اسلامية شهرية جامعة — جمادى الثانية ١٤٢٣هـ

في هذا العدد

كيف دخل الإسلام العرب ؟
ذات البارئ تعالى في ضوء الكتاب والسنة
المرأة ومكانتها في القيم الإيمانية ؛ وصناعة الرجال !
احذورا هذه النشرات
المضمون الإعلامي في الدعوة الإسلامية
المسجد الأقصى
هيكل سليمان .. و الهيكل المزعوم
وسائل الإعلام الحديثة ؛ وإمكانية الاستفادة منها في الدعوة إلى الله
المسجد البابري بين حلو ذكرياته ومر عتابه
العالم في حاجة إلى زعامة "العالم الإسلامي"
أول حوار مع خليفة الإمام أبي الحسن الندوي

تصدرها:
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء ص.ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

Tel : 0522-787346
Fax : 0522-787310

MAJALLAH
(UP/ARA/2000/2341
Regd. No.LW-NP/64/2001

AL-BAAS-EL-ISLAMI

(Issue-8) June-July 2002 (Monthly)

إصدارات جديدة:

ضواء على الأدب الإسلامي

وبعض بقلم :

سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي

رئيس ندوة العلماء العام

ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية

لشبه القارة الهندية وما جاورها من البلدان الشرقية

ملتزم النشر والتوزيع

رابطة الأدب الإسلامي العالمية

ص.ب ٣١، لكناؤ (الهند)

Printed and Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlise Sahafat-Wa-Nashriyat (Deptt. Of Journalism and Publicity) NadwatulUlama at Parekh Offset Printing Press, Tagore Marg, Lucknow, U.P.

Editor : Saeed-Al-Azami-Al-Nadwi

٨٨٢١
١٤١٩٥٥

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

رئاسة التحرير :
سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

المجلد السابع والأربعون

العدد الثامن
جمادى الثانية ١٤٢٣هـ
أغسطس-سبتمبر ٢٠٠٢م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير ، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين و أحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسني الندوي)
(رحمه الله)

المراسلات
ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWATUL ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
Ph: 0522-787250

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ
الرمز البريدي : ٢٢٦٠٠٧ (الهند)
تلفون : ٠٥٢٢-٧٨٧٢٥٠

حضرات إخواننا القراء !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ! فأحمد الله سبحانه وتعالى على هذا التوفيق الغالي الذي أكرمنا به من الاستمرار في خدمة العقيدة والفكر ، و في مجال البعث الإسلامي ، بطريق مجلة : "البعث الإسلامي" راجياً من الله سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم ، و بروح من الاستقامة والصمود ، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة في ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تمر بها الأمة ويتعرض لها المسلمون اليوم في كل مكان نحو دينهم وشريعتهم ورسالتهم العالمية .

وبمجرد توفيق الله ومشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة وأجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته في سبيل دعم المجلة وتوسعة نطاق المشتركين الجدد فيها، ويشاطرنا في أداء بعض الواجب الذي نتحمله الآن ، ويسمح لنا بلفت الأنظار إلى التعاون على البر والتقوى .

والتحديات تتجدد كل يوم ، وهي تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، ولكم شكرنا وتقديرنا.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

الإشتراكات السنوية

في الهند :
مائتا روبية ٠٠/٢٠٠
ثمن النسخة : ٢٠/روبية

في العالم العربي
و في جميع دول العالم :
٢٥/دولاراً بالبريد العادي
و
٤٠/دولاراً بالبريد الجوي

☆☆☆

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك :
باسم : "البعث الإسلامي"
(ALBAAS-EL-ISLAMI)

☆☆☆

وذلك بالعنوان التالي
مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ،
ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)

☆☆☆

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o. NADWATUL-ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

☆☆☆

* المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

محتويات العدد

سماحة العلامة الندوي رحمه الله يتساءل :

كيف دخل الإسلام العرب ؟ ٣

الافتتاحية :

القيم الإيمانية ، وصناعة الرجال ! سعيد الأعظمي الندوي ٤

التوجيه الإسلامي :

ذات البارئ تعالى في ضوء ... الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي ٩

المرأة ومكانتها في الإسلام سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ٢٠

احذروا هذه النشرات د/محمد بن سعد الشويعر ٣٠

الدعوة الإسلامية :

المضمون الإعلامي في الدعوة الإسلامية د/أحمد عبده عوض ٤٠

المسجد الأقصى د/أشرف شعبان أبو أحمد ٤١

دراسات وأبحاث :

هيكل سليمان .. والهيكل المزعوم د/محمد السيد علي بلاسي ٥٦

وسائل الإعلام الحديثة ؛ وإمكانية الاستفادة منها في ... الأستاذ محمد نعمة الله محمد إدريس الندوي ٦٢

في روضة الشعر والأدب :

المسجد النبوي بين حلو ذكرياته ومر عتابه [شعر] الدكتور عدنان علي رضا النحوي ٧٤

صور قديمة وصور جديدة :

العالم في حاجة إلى زعامة "العالم الإسلامي" سعادة الأستاذ المرحوم السيد محمد الحسني ٧٩

أول حوار مع خليفة الإمام أبي الحسن الندوي الدكتور غريب جمعة ٨٤

قرات لك :

إني مهاجر إلى ربي الأخ الأستاذ عبد الرشيد الندوي ٩٥

إصدارات حديثة :

١- المنظور القرآني للعلم ، في ضوء الاكتشافات العلمية قلم التحرير ٩٨

٢- نظام الدلائل للقرآن الكريم ؛ وانتفاضة الأمة الإسلامية ٩٩

٣- مطالعة الشعر والأدب ٩٩

٤- عكس جمال (مجموعة شعرية) ١٠٠

****

مكتبة الطالب
خزينة الطالب

بسم الله الرحمن الرحيم

العلامة الندوي رحمه الله يتساءل :

كيف دخل العرب التاريخ ؟

لي أن أتحدث عن المدخل الذي دخل منه العرب التاريخ ، وهو أقوى وأعمقه ، وأكثره خلوداً وبقاءً ، ولا خطر عليه في مكان أو زمان مهما تغيرت الظروف والأوضاع ، أو طال الأمد وبعد الزمان ، وهو مدخل الرسالة والهداية ، والرحمة للإنسانية ، والخدمة المخلصة ، المجردة عن الأغراض ، لقد بقي العرب قروناً وآلافاً من السنين منطوين على نفوسهم لا شأن لهم بالعالم ، ولا شأن للعالم بهم تتناساهم الشعوب والأمم حولهم ، ويتجاهلهم التاريخ ، وقد كانوا مسلحين بجميع الطاقات التي تجعل منهم أمة كريمة عظيمة ، تستطيع أن تمثل دوراً في تاريخ الغزو والفتح ، فقد فاقوا في الفروسية والشجاعة ، و "صناعة الحرب" وكانت عندهم كثير من الأخلاق الفاضلة ، وخلال المروءة التي توجد عند الأمم الأصيلة التي تكون على الفطرة ، وتعيش حياة البداوة والسذاجة ، وكانوا يحملون لغة ذات عبقرية لغوية ، وثروة واسعة ، وكانت عندهم قريحة شعرية تتدفق كالشلال ، وتجري كالماء السلسال ، وكانت لهم معلقات ومذهبات أولعوا بها ، والشعر الكثير ؛ والحكمة الرائعة ، ولكن كل ذلك كان لا يكفيهم للدخول في التاريخ ، واحتلال الصدارة أو الزعامة في منتدى العالم .

لقد عاشوا قروناً كثيرة في هذه العزلة وفي هذا الانطواء ، وفي هذا الخمود ، وكان يمكن أن يعيشوا قروناً أخرى في هذا الوضع ، ولكن الله أراد غير ذلك ، فبعث فيهم رسولاً من أنفسهم : ﴿ يتلو عليهم آياته * ويُزكيهم * ويُعلمهم الكتاب والحكمة * وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ [الجمعة/٢] ، وأكرمهم بالإيمان به ، والتصديق له ، والإخلاص لرسالته ودعوته ، والتفاني في سبيلها ، فتجردوا عن كل ما ينافيها ، واستأنفوا حياة جديدة ، وكأنما ولدوا في الإسلام ولادة جديدة .

الافتتاحية

القيم الإيمانية وصناعة الرجال !

إذا ذهبنا نستعرض واقع المسلمين اليوم الذي يتلخص في ضعفهم واستكانتهم ؛ لكانت لنا وقفة مع الخاصة قبل العامة ، وتمثلت أمامنا حياة قادة الأمة الذين تحملوا مسئولية الدعوة ، والتوجيه إلى دين الله الأخير ، وفهم التميزات التي تفرد بها ، وما أودع الله فيه من سعادة كاملة للحياة والإنسان والكون ، من خلال الشريعة الإلهية ؛ وأحكامها ؛ وحدودها ؛ ومعالمها ؛ التي تتفق وفطرة الإنسان بغاية من التوازن والقصد ، وإعطاء كل جزء حقه من العناية ، فكان هؤلآء القادة الأبرار يسلكون على نهج النبوة ؛ ومنهاج الشريعة ؛ ويبذلون مجهوداتهم في تقديم النماذج العملية في القول والعمل والعقيدة ؛ ويمثلون القدوة الجميلة في جميع مناحي الحياة ومجالاتها الفردية ؛ والجماعية ، وبذلك قاموا بدور عظيم في صناعة خير الأمة ؛ وإلقائها على جادة الأمر بالمعروف ؛ والنهي عن المنكر ؛ التي سماها الله تعالى صراطه المستقيم : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً * فاتبعوه * ولا تتبعوا السُبل * فتفرّق بكم عن سبيله ﴾ ويسأله الهداية إليه كل مسلم بصورة متابعة في جميع الصلوات والقراءات : ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ .

لقد درس هؤلآء العلماء ؛ وقادة الأمة الأبرار الأتقياء سيرة النبي المصطفى ﷺ بتفصيل ؛ وتعمق ، وبنية الاتباع ، فوفقهم الله تعالى إلى القيام بالدعوة إلى الله ؛ وإلى الجمع بين العقيدة والشريعة ، وتمثيل النموذج العالي للحضارة الإسلامية ؛ و الاستظلال بظلالها الوارفة فراراً من وهج المدنيات

الزائفة ؛ والعقليات الزائغة ، وقد أنتج ذلك أن العالم البشري شهد لأول مرة ذلك المجتمع الأفضل الذي أقامه الإسلام في ضوء تعاليمه ؛ وتوجيهاته ، و عاش هذا النظام الاجتماعي تحت رعاية المخلصين من أولي العلم والورع ؛ وكان له دور مهم جداً في إنقاذ العالم البشري من الجاهليات التي نخرت كيانه على جميع المستويات .

ورغم أن فترة هذه السعادة لم تكن طويلة ؛ وانحلت قبضة المنهج الإسلامي للحياة إلى حد ؛ بتأثير العوامل الخارجية ؛ واختلاط العادات العجمية وتقاليدها بالقيم الإيمانية السلوكية التي عاشها المسلمون اجتماعيا ، واتسع نطاق التأثير الأعجمي في هذا المجتمع تدريجيا ؛ وتجاوز ذلك من العامة إلى صفوف الخاصة الذين واجهوا هذا التغيير والتأثير بالصبر تارة ؛ و بالسكوت أخرى ، وأحيانا أوّلوه بغزو الأفكار الجديدة ؛ وضعف المقاومة ؛ نظرا إلى الظروف الحضارية ، والمصلحة الدينية .

ومن خلال هذا المنطلق بدأت الأدواء من كل نوع تتسرب إلى مختلف مسارب الحياة ، حتى تغير كثير من مفاهيم الفضائل الإنسانية ؛ وأثر ذلك على الشعور بأن هذا الدين كفيل بتوفير جميع الحلول للأحداث و القضايا التي تنتجها الظروف الحضارية المادية ، وتصرف العقول إلى التأويل بحجة أن المصالح الدعوية والدينية ؛ إنما تبرر البحث عن أساليب التيسير في الأوضاع الحديثة بحجة : "إن الدين يسر ؛ ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه" ، وتدرجت عقلية التأويل والتيسير حتى أخذت صورة الفتيا أحيانا ، ولا سيما في البلدان التي فيها المسلمون أقلية ؛ وهم بحاجة إلى الاعتماد على مسالمة مع فئات الأغلبية الساحقة ، والعمل بمبدأ التعايش السلمي ، ولكن ذلك لن يقبل بإقرار الدنيئة في الإسلام ؛ والرضا بشئ من التنازل عما يتعلق بصميم العقيدة والإيمان ، واستعمال الحيلة في المسائل الأساسية من التحليل والتحريم ، وبالتأويلات الفاسدة في الطاعة ؛ والمعصية ؛ والأوامر ؛ والنواهي ، وبالمكر و الاحتيال على أمور من الحلال والحرام ، وقد قرر الله

سبحانه وتعالى عقوبات هؤلآء المحتالين ؛ والمجترمين بضد ما قصدوا له بجرائمهم واحتيالاتهم .

لقد تحدث عن هذه الحيل والتأويلات في تبرير ما يراه رجال من طبقات المسلمين خدمة لمصالح ذاتية أو جماعية ، و عما هو عقاب هذه الجريمة،بشئ من التفصيل ، الإمام الحافظ ابن قيم الجوزية في كتابه : "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان" ؛ فقال :

"وأصل هذا ؛ أن الله سبحانه جعل عقوبات أصحاب الجرائم بضدّ ما قصدوا له بتلك الجرائم ؛ فجعل عقوبة الكاذب ، إهدار كلامه ورده عليه .

و جعل عقوبة الغالّ من الغنيمة لما قصد تكثير ماله بالغلول ، حرمانه سهمه ؛ وإحراق متاعه .

و جعل عقوبة من اصطاد في الحرم أو الإحرام ، تحريم أكل ما صاده ، وتغريمه نظيره .

وجعل عقوبة من تكبّر عن قبول الحق والانقياد له : أن ألزمه من الذلّ والصغار بحسب ما تكبّر عنه من الحق .

و جعل عقوبة من استكبر عن عبوديته وطاعته : أن صيّره عبداً لأهل عبوديته وطاعته .

وجعل عقوبة من أخاف السبيل ؛ وقطع الطريق : أن تُقطع أطرافه ، وتقطع عليه الطرق كلها بالنفي من الأرض ، فلا يسير فيها إلا خائفاً .

وجعل عقوبة من التذّ بدنه كله وروحه بالوطء الحرام : إيلام بدنه وروحه بالجلد والرجم ؛ فيصل الألم إلى حيث وصلت اللذّة .

وشرع النبي الكريم ﷺ عقوبة من اطّلع في بيت غيره : أن تُقلع عينه بعُود ونحوه ، إفساداً للعضو الذي خانه به ، وأولجه بيته بغير إذنه ، واطّلع به على حُرمته .

وعاقب كل خائن بأنه يُضلّ كيده ويُبطله ، ولا يهديه لمقصوده ، وإن نال بعضه ، فالذي ناله سبب لزيادة عقوبته وخيبته : ﴿ وأنّ الله لا

يهدي كيد الخائنين ﴾ [٥٢/١٢] .

وعاقب من حرص على الولاية ، والإمارة ، والقضاء بأن شرع منعه وحرمانه ما حرص عليه ، كما قال ﷺ : "إنا لا نُولّى عملنا هذا من سأله" .

ولهذا عاقب أبا البشر آدم عليه السلام : بأن أخرجه من الجنة لما عصاه بالأكل من الشجرة ليُخلّد فيها، فكانت عقوبته إخراجه منها، ضدّ ما أمّله .

وعاقب من اتخذ معه إلهاً آخر ، ينتصر به ، ويتعزّز به : بأن جعله عليه ضداً يَذلّ به ، ويُخذل به ، كما قال تعالى : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهةً * ليكونوا لهم عزّاً * كلاّ سيكفرون بعبادتهم * ويكونون عليهم ضداً ﴾ [١٩/٨١-٨٢]، وقال تعالى : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهةً * لعلّهم يُنصرون * لا يستطيعون نصرهم * وهم لهم جُندٌ مُحضرون ﴾ [٣٦/٧٤-٧٥] ، وقال تعالى : ﴿ لا تجعل مع الله إلهاً آخر * فتقعُدَ مذموماً مخذولاً ﴾ [١٧/٢٢] ضد ما أمله المشرك من اتخاذ الإله من النصر والمدح .

وعاقب الناس إذا بخسوا الكيل والميزان بجور السلطان عليهم (١) ، يأخذ من أموالهم أضعاف ما يبخس به بعضهم بعضاً .

وعاقبهم إذا منعوا الزكاة والصدقة ترفيهاً لأموالهم بحبس الغيث (٢) عنهم ، فيمحق بذلك أموالهم ، ويستوي غنيّهم وفقيرهم في الحاجة .

وعاقبهم إذا أعرضوا عن كتابه وسنة نبيه الحبيب ﷺ ؛ وطلبوا الهُدى من غيره : بأن يُضلّهم ، ويسُدّ عليهم أبواب الهُدى ، كما قال النبي الكريم ﷺ في حديث علي رضي الله عنه الذي رواه الترمذي وغيره – و ذكر القرآن الكريم – : "من تركه من جبّار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله

(١-٢) رواه ابن ماجة والبزار والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما – في حديث طويل – فيه : "ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين ؛ وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولو لا البهائم لم يمطروا" .

الله" ، فإن المعرض عن القرآن الكريم إما أن يعرض عنه كبرا ، فجزاؤه : أن يقصمه الله ، أو طلبا للهدى من غيره ، فجزاؤه : أن يضله الله .

وهذا باب واسع جدا عظيم النفع ، فمن تدبره يجده متضمنا لمعاقبة الرب سبحانه من خرج عن طاعته ، بأن يعكس عليه مقصوده شرعا وقدرا، دنيا وأخرى ، وقد اطردت سنته الكونية سبحانه في عباده ، بأن من مكر بالباطل مُكر به ، ومن احتال احتيل عليه ، ومن خادع غيره خدع ، قال الله تعالى : ﴿ إن المنافقين * يخادعون الله * وهو خادعهم ﴾ [١٤٢/٤] ، وقال تعالى : ﴿ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ﴾ [٤٣/٣٥] ، فلا نجد ماكرا إلا وهو مُكور به ، ولا مخادعا إلا وهو مخدوع ، ولا محتالا إلا وهو محتال عليه" [ص/٣٥٩-٣٦٠] .

إن إطلالة قليلة على حياتنا نحن المسلمين العامة والخاصة ؛ وتدقيق النوايا والخفايا التي تنطوي عليها النفوس وراء الأعمال والأنشطة التي نمارسها في حياتنا اليومية ؛ تعطينا صورة واضحة مبينة لمواضع الضعف والخلل التي نعيشها ، دون مبالاة بالنتائج الوخيمة التي تهدد بانهيار الكيان الإسلامي الذي ننتمي إليه ، وندعيه في جميع الشئون الحيوية ، وتنذر بمصير سيئ ؛ وبمستقبل كالح ، نرى أن القلوب خاوية ، ولا يشغلها الإيمان الخالص ، ودافع الاستسلام الكامل أمام متطلباته ، وقد نرى الأدواء الخلقية تستولي على النفس ؛ و هي لا تسمح بالاعتراف بالقلب السليم الذي يحمله شخص آخر بفضل من الله تعالى ، ويتألم بما قد انتشر في المجتمع من أمراض فتاكة ؛ ونوايا سيئة ، وبما تتميز به صفوف الخاصة من الناس من فرقة وانشقاق ، وإتهامات يترامون بها كالكرة ، ومن لعنات يوجهها البعض إلى البعض .

وأكبر داء وأعضله هو النفاق الذي يعيش في القلوب ، وينخر الشخصية الإسلامية ، فهذا الرجل العظيم يواجهك بالبشاشة ؛ وإشراق الوجه ؛ وإبداء السرور ؛ ويجود عليك بكل ترحاب ؛ وثناء ؛ وموافقة

للرؤية التي تتبناها في قضية ما ، و لكنه سرعان ما يعود عليك بالغيظ واللعنة ؛ والتسميع بك ، بل وهدم ما تبنيه ، ونقض ما تبرمه ، هذا الجو المنافق هو الذي يسودنا اليوم ، ومن خلال ذلك يجد العدو مدخلا إلى الصفوف والقلوب ، ومنطلقا للفساد والإفساد من كل نوع .

إن آثار العقلية المريضة اليوم تتجلى في جميع الشئون والقضايا في مجتمعنا ، ويقع فريستها كل فرد – إلا من عصمه الله – من أفراد الأمة المسلمة في معظم أقطار العالم وأنحائه ، ومع ذلك فإنها لا تتمكن أبدا من أداء مسئولية "الخيرية والوسطية" التي ميزها الله سبحانه بها ، وخلد قيادتها للعالم و وصايتها على النوع البشري إلى يوم الدين ، فهي بأمس حاجة إلى دراسة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والتدبر في توجيهاتهما وتعاليمهما للإنسان ، ثم تزكية القلوب من الأوضار والأوساخ ؛ حتى تتمتع بالرؤية الواضحة نحو الحياة والإنسان ؛ وبناء العالم ؛ وصيانته من ضراوة المجموعات الإنسانية التي تتزيأ بزي جميل ، وتتظاهر أمام الناس بصور، آدمية الظاهر؛ وسبعية الباطن .

لما بعث المصطفى الحبيب الأعظم ﷺ رسول الإنسانية ؛ وخاتم الرسالات والنبوءات إلى هذا العالم ، وجد عالما شبيها بعالم الحيوانات والبهائم ، ومجتمعا مليئا بالجاهليات والعصبيات المنتنة ، ولكنه ﷺ ركز جميع مجهوداته وطاقاته بوحي من الله تعالى على إصلاح هذا العالم ؛ واستبدال الفساد بالصلاح ؛ والجاهلية بالإسلام ، وأثمرت مساعيه المخلصة ثمارا يانعة جنية ، وتغير كل شئ ، تغيرت الأفكار والعقليات المريضة ، ورجع الإنسان إلى منصبه من الدعوة ؛ والقيادة ، وظهر أمر الله على كل شئ ، ولو كره المشركون .

يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم * يتلو عليهم آياته * ويزكيهم * ويعلمهم الكتاب والحكمة * وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾

سعيد الأعظمي

١٤٢٣/٣/٢٨هـ

التوجيه الإسلامي :

ذات البارئ تعالى
في ضوء النظريات القديمة والحديثة

[٧]

بقلم : فضيلة الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي رحمه الله
الأمين العام السابق للأكاديمية الفرقانية ، بنغلور – الهند ٩ (تعريب : الأخ محمد وثيق الندوي)

الرد على الفلاسفة والمتكلمين وإبطالهم :

فلنلاحظ بهذا لشأن حديثا نبويا يلقى كامل الضوء على ذات البارئ تعالى وحقيقته ، وتنقشع به جميع سحب الشكوك والشبهات : "حجابه النور (أو النار) لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه (٧٦)" .

فما المراد بكلمة السبحات ؟ قد ذكرت لها عدة معان ؛ منها جلال الله تبارك وتعالى ، ومنها نور وجهه ، ومنها محاسنه وصفاته وما إلى ذلك ، وأقرب من هذا كله أن المعنى : لو انكشف من أنوار الله التي تحجب العباد عنه ، شئ لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور ، كما خر موسى عليه السلام صعقا ، وتحطم الجبل ، لما تجلى الله سبحانه وتعالى (٧٧) .

فتبرز من هذا الحديث العظيم حقيقة البارئ تعالى وماهيته بكل وضوح وجلاء ، ويرد ويدحض جميع تصورات ونظريات الفلاسفة ، و المتكلمين المصطنعة الزائفة ، فتتجلى وتتضح من هذا الحديث عدة حقائق ؛ وهي كما يأتي :

١- يسكن الله تبارك وتعالى في حجاب النور ، فيثبت من ذلك جهته .

٢- لما ثبتت جهته ، ثبتت جسمانيته .

٣- أن الله تبارك وتعالى ليس له الوجه فقط ، بل له بصر أيضا .

٤- إحراق أنوار وجه أو بصر البارئ تعالى أو أشعته ، الخلق ،

يثبت أنه يخرج من بصره شئ ، ولا تثبت من ذلك لا جسمانية البارئ تعالى فحسب ، بل خروج شئ منه أيضا ، ومن الواضح أن خروج أي شيء بدون الجسم محال .

٥- "المادة" التي تحرق وتهلك المخلوقات ، لا تكون مادة تافهة ، بل هي مادة عظيمة ، لا يعلمها أحد من البشر .

٦- بهذا الاعتبار ذات البارئ تعالى تختلف تمام الاختلاف عن الذوات المادية ، و تخلو من أسباب الفناء و الحدوث ، و هو لم يزل ؛ و لا يزال إلى الأبد .

٧- وعلى هذا الأساس لا يستطيع أحد من المخلوقات أن يرى الله تبارك وتعالى في هذه الدنيا ، لأنه لا يقدر أحد في هذه الدنيا من المخلوقات والموجودات على رؤيته عزوجل ، بل يحترق ويتحول إلى رماد إذا تجلى له ربه ، كما جاء في القرآن الكريم في قصة سيدنا موسى عليه السلام : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا * وخر موسى صعقا ﴾ [الأعراف/١٤٣] .

٨- وثبت بذلك أن الله تبارك وتعالى له قدرة تامة كاملة على أن يجعل ما يشاء من الأرض "هدفا" له في طرفة عين ؛ و هو فوق السماوات السبع .

٩- وتثبت بذلك حقيقة أنه لا يخفي عليه أي شئ في خلقه ، بل هو يرى كل خلقه في كل مكان وزمان .

١٠- لما ثبت أنه بمجرد تجليه عزوجل مرة واحدة تتهشم وتتحطم الجبال الرأسيات الشامخات ، يتضح جليا واضحا أن لله تعالى ذاتا عظيمة لا يمكن تصورها ، فليس من الممكن أن تكون هذه الذات العظيمة منعدمة النظير "ذرة" ؛ لأن ذرة واحدة لا تستطيع أن تدك الجبل .

رؤية البارئ تعالى يوم القيامة :

وبهذا الاعتبار هذا الحديث الشريف حافل بحقائق ومعارف تستطيع

القضاء على كل نوع من أنواع النظريات الباطلة ، والرؤى الزائفة ، وينشأ هناك سؤال خطير ، وهو أنه إذا لم يكن بإمكان أحدٍ من الخلق أن ينظر إليه عزوجل ، ولا يستطيع رؤيته ، فكيف يرى الله عزوجل يوم القيامة ؟ هذا هو السؤال الخطير الذي أدى إلى حدوث نزاعات وصراعات بين الفرق الإسلامية ، وبالتالي قام سوق المجادلة والمناقشة والمناظرة ، وعقدت مبارزات علمية ، كما أدى إلى وقوع البلبلة والاضطراب والحيرة في صفوف المسلمين ، فجاهدوا في غير جهاد ومشوا بين شوك وقتاد .

ولكن هذه المسألة سهلة كل السهل ، لا غموض فيها ، ولا تعقيد ، فوعد الله ورسوله المؤمنين بأنهم ليرون الله عزوجل يوم القيامة ، سيأتي تفصيل ذلك في الصفحات الآتية – والغرض من ذلك إبراز أن الأفق الأعلى أو عالم الآخرة يختلف اختلافاً كلياً عن عالمنا الطبيعي ، فلا يمكن أحداً أن يرى البارئ تعالى في عالمنا الطبيعي ، بل لا يستطيع هناك أحد من خلقه رؤيته عزوجل ، بالعكس من الأفق الأعلى ، وقد أظهر الله تبارك وتعالى هذه الحقيقة بتجليه للجبل استجابة لطلب سيدنا موسى عليه السلام ، ولكن لطمأنة عباده ؛ والتأكيد لهم من رؤيته يوم القيامة شرف سيدنا محمداً ﷺ برؤيته عن طريق الإسراء به ﷺ إلى المسجد الأقصى ، ومنه إلى السماء لئلا تقع الأمة المحمدية في خطأ وضلالة ، هل حصلت الرؤية عند المعواج أم لا ؟ ففي هذه المسألة رأيان لعلماء الأمة ، بعضهم يقولون بالرؤية ، و بعضهم ينكرون وينفون ، والأقرب إلى الصحة أن الرسول المصطفى ﷺ قد تشرف بالرؤية حتما وإلا فلا حاجة للإسراء به إلى سدرة المنتهى فوق السماوات السبع العلى ، فلنطالع الآيات الابتدائية من سورة النجم ، وإن كانت تتميز بأسلوب الإيجاز مع الإعجاز ؛ ولكن معناها ومفهومها واضح جدا .

﴿ والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى * و

هو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى * افتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إن يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ [النجم/١-١٨] .

فالحاصل أننا مُنعنا من رؤية البارئ تعالى في هذه الدنيا وسنراه يوم القيامة لزوماً ، والله أعلم بالصواب .

وتوجد في الكتاب والسنة آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية تثبت الحظي والتشرف برؤية البارئ تعالى يوم القيامة ، ولكني اكتفى هنا بتقديم آية ؛ و عدة أحاديث فقط ، فجاء في القرآن الكريم : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة ﴾ [القيامة/٢٢-٢٣] .

وقد ورد شرح وتفسير هذه الآية الكريمة في الحديث النبوي التالي : "إنكم سترون ربكم عياناً" (٧٨) .

وجاء في حديث آخر ، عن أبي هريرة قال : قال أناس : يا رسول الله ! هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : هل تضارون في الشمس ؛ ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، يا رسول الله ! قال : هل تضارون في القمر ليلة البدر ؛ ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، يا رسول الله ! قال : فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك (٧٩) ، و قال ﷺ في موضع آخر : ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ، ليس بينه و بينه ترجمان ، و لا حجاب يحجبه (٨٠) .

يثبت من هذه النصوص الواضحة والتوضيحات الصريحة الواردة في الكتاب والسنة ثبوتاً قطعياً أن لله تعالى بالضرورة "وجوداً جسمانياً" مهما كانت ماهيته وكيفيته ، لأن من يراه جمع حاشد ، يصبح "مقابلا"، وبعبارة أخرى أنه ينتقل إلى "جهة" نفاها الفلاسفة والمتكلمون ؛ وخاصة المعتزلة

والجهمية ، ومن الواضح أن كل شئ ذي جهة يكون لا محالة جسما ، لأنه لا يمكن لشئ أن ينتقل إلى الجهة أو يبرز مقابلاً بدون جسم ، فبهذا الاعتبار إنه دليل قاطع لا يقبل الرفض ، ولا مجال فيه للتأويل ، على أن لله تعالى جسم ، وإلا إذا سلمنا أن الله تعالى جوهر أو بسيط ، أو أصغر من ذلك ، ينشأ سؤال أنه كيف يمكن لتريليونات من الناس (الذين قد تقر وجودهم من البداية إلى القيامة) ، النظر إلى ذرة أو رؤية مثقال ذرة ؟

وليعلم أن جوهراً مفرداً (Atom) صغير إلى حدّ لا يمكن النظر إليه بمجهر عادي ، بل قد تم للنظر إليه إيجاد مجهر كبير قوي يرى شيئا مضاعفاً أكثر من ثلاثين أو خمسين مليون مرّة ، فهل يرى الناس ربهم بالمجهرات ؟ و واضح أن هذا القول مضحك ، هل يليق بنا أن نعتبر أصغر شئ إلهاً أو رب العالمين لا يمكن النظر إليه بالأبصار فحسب ؟ وظاهر أن هذه النظرية الفاسدة تعارض الأحاديث السالفة الذكر آنفاً معارضة صريحة .

وعلى كل ، هذه الحقائق كلها واضحة جلية كالشمس في نصف النهار لا غموض فيها ولا التباس ، ولكن طبقاً لـ "ليس كمثله شئ" تختلف أحواله وكيفياته تماماً عن أحوالنا و كيفياتنا كالاختلاف بين الأرض والسماء ، فلا يجوز لنا بأي حال من الأحوال ؛ ولا بأي اعتبار من الاعتبارات أن نبت الحكم بشأن ذاته العظيمة عزّوجل بالقياس إلى موادنا وأجسامنا وأحوالنا الطبيعية ، سبحانه وتعالى عما يصفون .

ضلالة المعتزلة والجهمية :

وبهذا الاعتبار تبدو عقيدة الحنابلة قريبة من الصحة ؛ وهي أن الله أثبت لنفسه الجهة (٨١) ، ولكن وجهة نظر المتكلمين الباطلة هي أنه ليس لله تعالى أي وجود شخصي أو جسماني ، و لأجل ذلك ؛ فإن الله تعالى ليس متحيزاً ؛ ولا ذا جهات ، ومما يزيد غرابة وعجباً "أنه لا داخل ؛ ولا خارج" (٨٢) .

واعتبر العلامة ابن تيمية هذه النظرية الباطلة التي سبق ذكرها آنفا مستحيلة من الوجهة العقلية ، مستدلا بالأحاديث النبوية الواردة بهذا الصدد ، ويدل على أنه سبحانه وتعالى مباين لمخلوقاته فوق سماواته ، وأن وجود موجود لا مباين للعالم ؛ ولا مجانس له في بديهة العقل (٨٣) .

وفي الواقع أن الشئ الذي لا يكون جسما ولا متحيزا في مكان ، لا يمكن وجوده من الوجهة العقلية ، فضلا عن أن يتراءى للناظر إليه ، و هذا ظاهر أنه تناقض واضح صريح ، فالدلالة على العلم لا يجوز أن تكون متناقضة متعارضة ، وهذا مما لا ينازع فيه أحد من العقلاء (٨٤) .

وعلى كل ، يقول العلامة ابن تيمية : وهو ينتقد المتفلسفين من المعتزلة والجهمية :

"وهؤلآء الذين يعارضون الكتاب والسنة بأقوالهم بنوا أمرهم على أصل فاسد ، وهو أنهم جعلوا قول الله ورسوله من المجمل الذي لا يستفاد منه علم و هدى ، فجعلوا المتشابه من كلامهم هو المحكم ، والمحكم من كلام الله ورسوله هو المتشابه ، كما يجعل الجهمية من المتفلسفة والمعتزلة ونحوهم ، ما أحدثوا من الأقوال التي نفوا بها صفات الله ونفوا بها رؤيته في الآخرة ، وعلوه على خلقه وكون القرآن كلامه ونحو ذلك ، جعلوا تلك الأقوال محكمة ؛ وجعلوا قول الله ورسوله مؤولا عليها أو مردودا أو غير ملتفت إليه" (٨٥) .

أثر المعتزلة على أهل السنة والجماعة :

الحاصل أن المعتزلة والجهمية قدموا نظرياتهم الكلامية بدلائل دامغة ، وبراهين قوية مقنعة لم يسلم علماء أهل السنة والجماعة من التأثر بها والانصياع إليها ، بل إنهم وقعوا في الشك والتردد والتذبذب ، وجعلوا يجاورونهم في قولهم وينسجمون مع أصواتهم ، فنفوا أن يكون الله تعالى جسما ؛ ومختصا بمكان وحيز ، ولكنهم مع ذلك اعترفوا بأن الله البارئ

تعالى يرى يوم القيامة ، كما يقول العالم الجليل الإمام الرازي : "اعلم أنا بينا أنه سبحانه وتعالى منزه عن أن يكون جسما وجوهرا ومختصا بمكان و حيز، ثم إنا ندعي أن هذا الشئ الموصوف بهذه الصفات يمكن رؤيته (٨٦) .

ويبدو واضحا أن في هذا القول تناقضا ظاهرا لا يقبله العقل ، ولا تقرره أي فلسفة من فلسفات العالم ، ولكن معظم المتكلمين اضطروا إلى قبول وتسليم هذه النظرية الباطلة المرفوضة القائلة بأن الله يرى يوم القيامة مع كونه عزوجل منزها من أن يكون جسما ، لغلبة المعتزلة وقوتهم واستبدادهم ، ولأنه قد كان تم الاتفاق بين أهل السنة على وقوع الرؤية يوم القيامة قبل ظهور أهل الكلام ، كما يقول صاحب المواقف : "والعمدة فيه إجماع الأمة قبل حدوث المخالفين على وقوع الرؤية" (٨٧) .

فلأجل ذلك لم يجزلهم الانحراف عن إجماع الأمة ، فلذلك اختاروا موقف "خذوا شيئا وأعطوا شيئا" بهدف التفاهم .

لو لم يتم هذا الإجماع ، لأنكر ونفي متكلمو الإسلام رؤية البارئ تعالى علنا ، كما فعل المتأخرون من الأشاعرة ، فاختار هؤلآء موقف المعتزلة ، منكرين رؤية البارئ تعالى يوم القيامة ، لتخوفهم من سطوتهم ، وتأثرهم بغلبتهم ، كما يصرح العلامة ابن تيمية بذلك "ولهذا صار الحذاق من متأخري الأشاعرة على نفي الرؤية وموافقة المعتزلة" (٨٨) .

فبعد ظهور المتكلمين بدأت سلسلة اتخاذ طرق جديدة متنوعة لشرح عقائد الإسلام وتوضيحها ، شوهت المعتقدات الإسلامية الشفافة الواضحة ، فصارت هذه "العقائد المحرفة" بمثابة العقائد الثابتة المتفق عليها ، وصنفت وألفت كتب حول المعتقدات ؛ وعلم الكلام ، كأنه صدر تقصير من الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ ، العياذ بالله من ذلك ، فسائر كتب العقائد والكلام المتداولة في العالم الإسلامي في هذا العصر المعاصر ، تشمل وتمثل هذه "العقائد المحرفة" تقريبا ، ففي كل كتاب تطالعه وتدرسه من هذه

الكتب ، تجد فيه أن الله تعالى ليس بجسم ، ولا جوهر ، ولا عرض ، ولا مختص في مكان وحيز ، ولا ذي جهات ، ولكنه عزوجل مع كل ذلك ؛ سيرى يوم القيامة أيضا .

وهذا واضح أن هذه العقيدة غريبة ، لأن أساسها على اثنتين من الدعاوى المتعارضة ؛ ثم إن هذه العقيدة ليست إسلامية صرفة ، ولا عقلية بحتة ، بل هي كومة فاسدة للشريعة والكلام لن يقبلها العقل السليم بحال من الأحوال ، فهذا النوع من الدعاوى غير المنطقية وغير العقلية ليس إلا لغزا ، وبهذا الاعتبار قد خدشت المعتقدات الإسلامية بما يقوله الفلاسفة والعقلاء رجما بالغيب ، وسهامهم الطائشة ، وأصبحت حقيقتها مشوهة ومشكوكا فيها ، فالحاجة تمس إلى وقاية عقائد الإسلام من خزعبلات العقل والفلسفة وتخبطهما ، والنظريات الباطلة ، والافتراضات الزائفة ، كما لابد من جعلها سليمة نزيهة من كل التلوثات والتجاوزات ، وإلا فتحدث ، وتظهر فتن جديدة في الدين ، ولا نسلم ولا ننجوا من الضلالات والخرافات والسفالات .

وفي الواقع أن الإنسان لا يستطيع أن يدرك كنه حقيقة الله تعالى وذاته ، ولا سبر أغوارهما ، كما صرح بذلك جمهور المحققين ، فيما يزعم كثير من المتكلمين أنهم يستطيعون إدراك حقيقة الله تعالى ، يقول صاحب المواقف : "أما حقيقة الله تعالى غير معلومة للبشر ، وعليه جمهور المحققين ، وقد خالفه كثير من المتكلمين" (٨٩) .

استثناء في الكتب المتداولة :

على كل ، لا يخلو أي كتاب من الكتب المتداولة للعقائد والكلام من النقص والعيب ، ولكن قاضي القضاة العلامة صدر الدين علي الحنفي [٧٩٢هـ] يستثنى من ذلك ، وهو تلميذ العلامة ابن كثير ، وكتابه : "شرح الطحاوية في العقيدة السلفية" الذي في الواقع شرح لكتاب "العقيدة

السلفية" للإمام الطحاوي الحنفي [م/٣٢١هـ] ، فهذان الكتابان يحتويان على عقائد سلفية صرفة ، ولا يوجد فيهما أي شائبة من شوائب النظريات الفلسفية ، بل ينتقدانها انتقادا ، وقد صدرت عدة طبعات لشرح الطحاوية من مكتبات مختلفة ، أحسنها وأوثقها الطبعة التي صدرت من دار التراث بالقاهرة ، بتحقيق ومراجعة الباحث المحقق الشيخ أحمد محمد شاكر ، فلابد من ترويج ونشر هذا السفر الجليل الذي يستحق الاحترام والتقدير في العالم الإسلامي ، وإقصاء الكتب الأخرى في هذا الموضوع .

العلامة ابن تيمية حامل لواء التوحيد الخالص :

ومن أشهر العلماء الذين حملوا لواء التوحيد الخالص في القرون الوسطى وأعظمهم مكانة ، شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية الحراني الدمشقي [م/٧٢٨هـ] الذي جمع بين الإيمان القوي بكل ما جاء به الرسول الله ﷺ ، ونطق به الكتاب ، والاقتناع بعقيدة السلف الصالح ، والاطلاع الواسع على ما دون في صحائف هذه الأمة في الماضي ، والعلم الدقيق العميق بفلسفة اليونان ومنطقهم ، والمذاهب التي نشأت في الإسلام بتأثير الفلسفة اليونانية ، والنقد الحر الجري لمناهجها وبحوثها ، وتبدو عقيدته واضحة نزيهة من كل شائبة كالمرآة ، وانتقد الكلام والفلسفة انتقادا شديدا حادا ، وهو كالسيف المصلت على النظريات الباطلة الزائفة ، وفضح المتكلمين في كتبه وكتاباته ، ومثل عقيدة السلف الصالح تمثيلا صادقا أمينا ، وأنقذ الأمة من الضلالة ، وأثبت أنه ليس هناك تعارض بين المعقول الصحيح ؛ والمنقول الصريح ، وحدد حدود العقل والنقد (٩٠) ، فيجب تقديم النقل (الشريعة) على العقل (الفلسفة) إذا تعارضا (٩١) ، وبين كذلك كثيرا من الأصول القيمة ؛ والمبادئ القديمة ؛ والأسس المتينة ذات الأهمية الكبيرة ، ترشد الأمة الإسلامية إلى الصراط السوي ترشيدا صحيحا ، وصرح بأنه ليس عند المعترضين عن كتاب الله تعالى ، أي دليل منطقي صحيح (٩٢) .

وعلاوة على فتاوى ابن تيمية في ٣٧/مجلدا ، له كتابان شهيران يحتلان مكانة كبيرة بارزة بين الكتب الأخرى ، هما : "موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول" ؛ و "كتاب الرد على المنطقيين" ، ولا يوجد لهما نظير في نقد الفلسفة والكلام والتعقيب عليهما ، وفيهما فند الشيخ ودحض نظريات الفلاسفة والمتكلمين وآراءهم ومرئياتهم ، لو لم يكن هذان الكتابان فينا لتعذر عمل "تجديد الدين" ؛ فنظرا إلى ذلك أن كتب الشيخ ابن تيمية بمثابة منارة نور بالنسبة لنا، ومصدر هداية بعد الكتاب والسنة ، فالحاجة ماسة إلى تهذيب وتنقيح هذين الكتابين على نهج جديد متطور ، ثم طبعهما مع التعليقات الضرورية ، على ما فيهما من عبارات مغلقة معقدة ، لا يستطيع فهمها كل عالم .

[يتبع]

المراجع :

(٧٦) صحيح مسلم ؛ كتاب الإيمان : ١٦٢/١ .

(٧٧) النهاية في غريب الحديث ، ابن كثير: ٣٣٢/٢، المكتبة الإسلامية ١٩٦٣م ، و يراجع لمزيد من التفصيل إلى لسان العرب ، ابن منظور: ٤٧٣/٢ ، دار صادر بيروت .

(٧٨) صحيح البخاري ؛ كتاب التوحيد : ١٧٩/٨ .

(٧٩) المصدر السابق ؛ كتاب الرقاق : ٢٠٥/٧، صحيح مسلم ؛ كتاب الإيمان : ١٦٤/١.

(٨٠) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد : ١٨٥/٨ .

(٨١) ليراجع إلى كتاب الأربعين في أصول الدين ، فخر الدين الرازي : ١٥٢/١ .

(٨٢) المواقف في علم الكلام ، ص/٢٧٢ . (٨٣) موافقة صريح المنقول : ١٩١/١ .

(٨٤) المصدر السابق : ٢٠٤/١. (٨٥) موافقة صريح المنقول : ٢٠٤/١.

(٨٦) كتاب الأربعين في أصول الدين : ٢٦٦/١ . (٨٧) المواقف في علم الكلام : ص/٣٠٧.

(٨٨) موافقة صريح المنقول : ١٨٩/١. (٨٩) المواقف في علم الكلام ، ص/٣١٠-٣١١.

(٩٠) موافقة صريح المنقول : ١٢٦/١ .

(٩١) المصدر السابق : ١١٦/١ . (٩٢) المصدر السابق : ١٣٤/١ .

المرأة ومكانتها في الإسلام

بقلم : سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي
(الرئيس العام لندوة العلماء ، لكناؤ (الهند) ، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي العالمية)

جاء الإسلام وشرع للمرأة حقوقا تعادل حقوق الرجال باختلاف ما تقتضيه فطرة المرأة ومصلحتها وبمدى قدرتها على أداء مسئوليات الحياة التي تتعلق بها ، فقد قال رسول الله ﷺ : "إنما النساء شقائق الرجال" (١) ، وساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الأحوال الإنسانية العامة ، فقد قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس ! اتقوا ربكم * الذي خلقكم من نفس واحدة * وخلق منها زوجها * وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾ [النساء/١] ، وقال تعالى : ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى * وهو مؤمن * فلنحيينه حياة طيبة * ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ [النحل/٩٧] ، وقال تعالى : ﴿ فاستجاب لهم ربهم * أني لا أضيع عمل عامل منكم * من ذكر أو أنثى * بعضكم من بعض ﴾ [آل عمران/١٩٥] ، ولما ذكر إضلال الشيطان لآدم عليه السلام ذكر آدم وزوجته على السواء ، فقال عزوجل : ﴿ فأزلهما الشيطان عنها * فأخرجهما مما كانا فيه ﴾ [البقرة/٣٦] .

وعندما ذكر كتاب الله تعالى وحديث الرسول الكريم ﷺ جوانب الحياة الإنسانية المختلفة وقضاياها المتنوعة أعطيا المرأة حقها فيها كاملا ، سواء أكانت بنتا أم زوجة أم أما ، أما بالنسبة إلي كونها بنتا ، فقد قال رسول الله ﷺ : "من كانت له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات ، أو ابنتان أو أختان فأحسن صحبتهن ، وأتقى الله فيهن فله الجنة" (٢) ، وجاءت مذمة

(١) رواه أبو داؤد ؛ والترمذي .
(٢) رواه الترمذي .

التشاؤم بالبنت في القرآن الكريم ، يقول الله تعالى : ﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى * ظل وجهه مسودا * وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشر به * أيمسكه على هون أم يدسه في التراب * ألا ساء ما يحكمون ﴾ النحل/٥٨-٥٩] ، و قال : ﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم * سفها بغير علم ﴾ [الأنعام/١٤٠] .

وأما بالنسبة إلى كونها زوجة فقد قال رسول الله ﷺ : "إن الدنيا كلها متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة" (٣) .

وأما بالنسبة إلى كونها أما ، فقد جاء في الحديث الشريف : "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، قال : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال أمك ، قال ثم من ؟ قال : أمك قال : ثم من ؟ قال : أبوك" (٤) .

فالرجل والمرأة صنوان لشجرة نخلة إنسانية واحدة ، يستويان في الشرف الإنساني ، جعلها الإسلام مشتركين في الكرامة ، ومستحقين للحقوق الإنسانية على مستوى واحد ، وذكرهما الله تعالى متساويين في موضع ، ذكرهما معا ، فقد قال : ﴿ إن المسلمين والمسلمات * والمؤمنين والمؤمنات * والقانتين والقانتات * والصادقين والصادقات * والصابرين والصابرات * والخاشعين والخاشعات * والمتصدقين والمتصدقات * والصائمين والصائمات * والحافظين فروجهم والحافظات * والذاكرين الله كثيرا والذاكرات * أعد الله لهم مغفرة * وأجرا عظيما ﴾ [الأحزاب/٣٥] ، ذكر الله المرأة في هذه الآية بصفات صالحة فقد ذكرها بالطهر والعفاف والإنابة والخشية لله وأعمال الخير و وعدها على ذلك بالأجر العظيم في الآخرة على مستوى واحد مع الرجال .

(٣) مسلم ؛ والنسائي .
(٤) رواه مسلم .

وبذلك أصبح للمرأة من صفات العزة والكرامة ما هي للرجل ، ومع ذلك جعل الله للرجل وللمرأة ما يقتضي كل واحد منهما بناءً على قوته وقوتها وصلاحية كل واحد منهما لحمل مسؤوليات تخصه دون الآخر منهما ، وعلى هذا يكتمل أداء متطلباتهما للحياة الإنسانية الصافية ، وتحصل بذلك الطمأنينة والراحة والسعادة لخلية البيت الإنسانية المشتملة عليهما ، فالإسلام أعطى المرأة كل ما هو في صالح الرجل منها ، وكل ما هو في صالح المرأة منه ، وجعل حقوقهما بقدر مسؤولياتهما في الحياة .

وأعطى الإسلام المرأة حق الإرث ولم تكن تناله قبل الإسلام ، أياً ما كانت ، زوجة أم بنتاً ، أو كانت حملاً في بطن أمها ، وأقر حقوق الزوجين ، قال الله تعالى : ﴿ ولهنّ مثل الذي عليهن بالمعروف * و للرجال عليهن درجة ﴾ [البقرة/٢٢٨] ، ونظم الإسلام أمر الطلاق وجعل له حداً لا يتجاوزه وحدد تعدد الزوجات ولم يكن قبل الإسلام محدوداً في العدد ، وجعل للمرأة أيضاً حق الشهادة بنصف شهادة الرجل ، وذلك لأسباب نفسية وعاطفية في المرأة ، ولم يكن يوجد شئ من إقرار كرامة المرأة في المذاهب الفكرية والدينية والثقافية قبل الإسلام ، فإذا استعرضنا تاريخ المرأة قبل الإسلام لوجدناها فيه ذليلة مهينة مستخدمة لأهواء الرجال ، تابعة لمصالحهم دون مصالحها ، وذلك في كافة النظم الإنسانية قبل الإسلام .

فإن نظرة فاحصة لوضع المرأة في الحضارات والديانات التي سبقت ظهور الإسلام تدل على ما تفوق به نظرة الإسلام إلى المرأة من إكرام وتشريف ، ومن إعطائها بسخاء ما تستحقه من تقدير ، خلافاً لنظرات الحضارات والديانات القديمة إليها وسلوك أتباعها معها ، يظهر ذلك جلياً بالمقارنة بينها ومع ما جاء به الإسلام من مبادئ الإنصاف وإعطاء الكرامة للمرأة .

فالحضارات السومرية والآشورية والبابلية في بلاد ما بين النهرين

كانت لا تقيم وزناً للمرأة ولا تعطي لرأيها أي اعتبار ، بل إن قانون حمورابي كان حمّلها إثم ما لم تفعله ، وكان الرجل لا يقتل بالمرأة (٥) .

أما حضارة الصين فكانت تعتبر المرأة علامة نحس وعنوان شقاء ، يحرم عليها الخروج من منزلها أو النظر في وجه إنسان (٦) .

والمرأة عند اليونانيين مخلوق نجس (٧) ، وصفها شاعرهم هزيود "بأنها منحت عقلاً كعقل الكلاب ، وأخلاقاً كلها ختل ودهاء" (٨) .

وقال فيها خطيبهم ديموستين : "إننا نتخذ العاهرات للذة ، الخليلات لراحة أجسامنا اليومية ، والأزواج ليلدن لنا الأبناء" (٩) .

أما الرومان فقد اعتبروا المرأة حيواناً نجساً يحرم عليها دخول المعابد ، ولذلك فليست مؤهلة لدخول الجنة ، واعتبروا أنوثتها سبباً من أسباب انعدام أهليتها في نظر القانون (١٠) .

أما في شريعة حمورابي فقد كانت المرأة تحسب في عداد الماشية المملوكة ، حتى إن من قتل بنتاً لرجل كان عليه أن يسلم بنته أو يتملكها .

أما عند الهنود فإنه لم يكن للمرأة في شريعة مانو حق في الاستقلال عن أبيها أو زوجها أو ولدها ، فإذا مات هؤلاء جميعاً وجب أن تنتمي إلى رجل من أقارب زوجها ، وهي قاصرة طيلة حياتها ، ولم يكن لها حق في الحياة بعد وفاة زوجها ، بل يجب أن تموت يوم مات زوجها ، وأن تحرق

(٥) تاريخ الحضارات العام ١١٥٤ .

(٦) مونيك بيتر : المرأة عبر التاريخ : ص/٥٤ .

(٧) المصدر السابق : ص/٥٩ .

(٨) ويل ديورانت : قصة الحضارة ، الجزء الأول ، المجلد الثاني : ص/١٨٨ .

(٩) المصدر السابق ، الجزء الثاني ، المجلد الثاني : ص/١٤٤ .

(١٠) مونيك بيتر : المرأة عبر التاريخ .

معه وهي حية على موقد واحد ، واستمرت هذه العادة حتى القرن السابع عشر حيث أبطلت على كره من رجال الدين الهنود .

وكانت تقدم قربانا للآلهة لترضى ، وتأمر بالمطر أو الرزق ، وفي بعض مناطق الهند القديمة شجرة يجب أن يقدم لها أهل المنطقة فتاة تأكلها كل سنة .

وكان بعض طوائف اليهود تعتبر البنت في مرتبة الخادم ، وكان لأبيها الحق في أن يبيعها قاصرة ، و ما كانت ترث إلا إذا لم يكن لأبيها ذرية من البنين ، أو يتبرع به لها أبوها في حياته .

وإذا آل الميراث إلى البنت لعدم وجود أخ لها ذكر لم يجز لها أن تتزوج من آخر ، ولا يحق لها أن تنقل ميراثها إلى غير سبطها ، واليهود يعتبرون المرأة لعنة لأنها أغوت آدم ، وقد جاء في التوراة : "المرأة أمر من الموت ، وإن الصالح أمام الله ينجو منها ، رجلا واحدا بين ألف وجدت ، أما امرأة فبين كل أولئك لم أجد" (١١) .

وعندما دخلت أمم الغرب في المسيحية أثرت آراء رجال الدين في نظرتهم إلى المرأة ، فعقد الفرنسيون في عام ٥٨٦/للميلاد (أي في أيام شباب النبي عليه الصلاة والسلام) مؤتمرا للبحث : هل تعد المرأة إنسانا أم غير إنسان ؟ وأخيرا قرروا أنها إنسان خلقت لخدمة الرجل فحسب .

فلما جاء الإسلام رفع منزلة المرأة ومنحها الكرامة التي كانت تستحقها بناء على إنسانيتها ، وحصلت على حقوق تساويها مع الرجال في شرف انتسابهما إلى أبيهما آدم عليه السلام سواء بسواء ، استطاعت المرأة بذلك أن تستحق الكرامة في المجالات الإنسانية التي جعلها الله تعالى لائقة بأداء واجباتها فيها ، ظهر ذلك في المجتمعات التي التزمت بشريعة الإسلام

(١١) مونيك بيتر : المرأة عبر التاريخ .

وقامت بتنفيذها ، وأثر ذلك على مجتمعات كافرة بعض التأثير أيضا ، ولكن الأمم الرازحة في سلاسل العقليات الجاحدة للإسلام التي خالفت تعاليم الإسلام ، وظلت متمسكة بتقاليدها ونظراتها الجاهلية ، لقيت المرأة ولا تزال تلاقي فيها كل اضطهاد وبخس حقوق إلى أن قامت الثورة الديموقراطية في أوروبا ، ونادت بتحرير المرأة من كافة قيودها ، وقامت مجتمعاتها بإعلان كافة الحريات لها ، صارت المرأة في تلك المجتمعات الغربية الرافضة لأمر الدين حرة مشاعة للناس ، وأصبح عرضها وكرامتها عرضة للأهواء بدلا من حفظها وصيانتها .

فقد كانت هذه الحرية والمساواة التي منحتها المدنية الغربية للمرأة ، ولا تزال تروج لها متجاوزة لحدود الأخلاق والشرف الإنساني ، وبالغت إلى حد العشوائية والإباحية ، والرجل لتفوقه الفطري عليها يستهويها ويستغلها لمآربه ، ويحرمها من العطف منه عندما يرى نفسه في غني عنها ، تدل على ذلك الإحصائيات الرسمية في أوروبا وأميركا التي تشير إلى حالات الاختلاط الحر بين الجنسين تبعا للحرية المذكورة ، نذكر منها من المجتمع الأمريكي على سبيل المثال :

المجتمع الأمريكي مجتمع مفتوح ، لا تسجل الحوادث إلا نحو عشرة في المائة من الحوادث في المراكز الرسمية ، ومنها حوادث الاغتصاب للنساء ، وهي كل سنة – كما تذكر الإحصائيات – تبلغ مائة ألف وثلاثين ألف حادثة ، وسئلت الطالبات في مدرسة في أميركا كم من الطالبات لقين الاغتصاب ؟ فأجابت كل واحدة منهن أنها مرت من هذه الحالات ، وكانت أعمار هؤلاء الطالبات بين/١٢ و ١٨/سنة .

وبسبب كثرة الاغتصاب يولد مليون ومائتا ألف طفل غير شرعي كل سنة ، وهذا الإحصاء هو لعام ١٩٩٥م ، ويظهر أن العدد يكون قد ازداد الآن أكثر .

وتدل الإحصائيات أن مليون شابة غير متزوجة حملت من الاغتصاب ، حملت منهن أربعون ألفا في مدينة نيويورك وحدها ، ومن ظلم الرجال في هذه المدينة الراقية أن الشاب عندما يعرف أن الشابة حملت منه يتركها و يختفي منها لئلا تقع عليه مسؤولية المولود ، فالشابة الصغيرة تدخل بذلك في طريق شائك خطير ، وهي لم تنضج بعد عقليا وعمليا .

أما إعطاء المرأة حق مساواتها مع الرجل فبشكل مجاملة مصطنعة ، والرجل يخص لنفسه المناصب الرفيعة ، ويحيل المرأة إلى المناصب التافهة ، فإن المناصب الخطيرة والجليلة التي تبلغ في أميركا نحو مائتين وثلاثين منصبا لم تحصل المرأة منها إلا على ثلاثين منصبا فقط ، كما أنها تستخدم في تنظيف الشوارع وقيادة السيارات ومساعدة الموظفين في المكاتب ، هذه هي الحرية والمساواة التي أعطت الحضارة الغربية الراقية اليوم للمرأة .

وأما ما قرره الإسلام للرجل من إعطاء المرأة حقها من السلوك الطيب والاعتراف بكرامتها الإنسانية فهو كثير وموافق لما تستحقه ، أما درجته على المرأة فليست لفضيلته عليها في الكرامة الإنسانية ، بل لما يقوم به دونها من مسؤولية التكفل والقوامة ، أما تقييدها ببعض القيود دون الرجل فليس تقييدا لحريتها الإنسانية ، بل إنه بسبب ضعف في بعض القدرات الفطرية فالرجل أقدر على ذلك من المرأة ، وكذلك في حالات تقتضي التروي في الأمور ، والاحتكام إلى العقل الهادئ ، فالرجل يملك ذلك بصورة أقوى من المرأة ، فكما جعل الله جسد الرجل أكثر قوة وثباتا جعل فكره أكثر انضباطا وتعقلا للأمور ، فعندما نجد المرأة أقل قدرة لأداء الأعمال الثقيلة نجد أن أوقاتها إنما تتخللها حالات تقطع مداومتها لأداء المسؤوليات بسبب وقوعها في العوارض النسائية ، ثم إنها أكثر مرونة في الشؤون العاطفية فلا تصمد عند الاحتكام إلى العقل كما يصمد الرجل ، فجعل الإسلام شهادتها نصف شهادة الرجل ، ثم بمقتضى التنظيم الاجتماعي

يليق بالرجل أن تسند إليه القوامة والرئاسة لأنه أقدر عليها و وقته أوسع لها منها ، وهذه الفضيلة هي كفضيلة الأمير على رفاقه وأعضاء أسرته ، وكفضيلة الأخ الأكبر على إخوته الصغار ، وليست كفضيلة المالك على المملوك ، أوَ كفضيلة عزيز على ذليل ، فقد جاء في الحديث الشريف : "كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها و مسئولة عن رعيتها (١٢) ، أما على المستوى الإنساني ومن ناحية السلالة الآدمية والنسب فإن القرآن الكريم يذكرهما على مستوى واحد ، يقول : ﴿ يا أيها الناس ! اتقوا ربكم * الذي خلقكم من نفس واحدة * وخلق منها زوجها * وبث منهما رجالا كثيرا ونساء * واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام * إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ [النساء/١] .

يشير بذلك إلى أن المرأة خلقت من الرجل ، فكلاهما من نفس واحدة ، وانتشر منهما الأبناء والبنات على مستوى واحد ، ثم إن العلاقات التي قامت بين الجنسين أصبح الحفاظ عليها ورعايتها من مسئولية الجميع ، وأن الله يراقب أداء الإنسان لحقوق هذه العلاقات .

هذا هو التساوي الذي جعله الله بين الرجل والمرأة ، وهو على مقدار جدارة كل واحد منهما لأداء المسئولية ، في شأن استحقاقهما للكرامة والدرجة الإنسانية العزيزة ، فلابد من الرعاية للأمرين بين أمر التساوي بين درجتهما الإنسانية و بين التفريق بينهما بمقتضى الفرق في قدرته وقدرتها للعمل .

على كل ، فإن المرأة في شأن كرامتها الإنسانية وحقوقها المادية والعائلية إنما تنال كل تقدير ورعاية بأمر من الله تعالى ، وذلك عن طريق أبيها وزوجها و ولدها وأخيها وأقاربها و ولي أمر المسلمين ، وإن ما جاء به

(١٢) رواه البخاري .

الإسلام هو في حد ذاته إعادة للجانب الإنساني للمرأة على نمط ليس له نظير ، لا قبل الإسلام ولا بعده ، وأن هذا النمط الذي جاء به الإسلام والذي أعطى لوجود المرأة معناه ، و لكيانها روحه ومغزاه ، ولصورتها معالمها ، وطرقها وحدودها ، لم تستطع الحضارات البشرية في القديم والحديث أن تأتي بمثله ، وأنه سواء أكانت للمرأة مكانة في المجتمعات القديمة أم لم تكن فإن مكانتها في الإسلام شئ جديد تماما ، لأنها مكانة لها صبغة جديدة ، ومبنية على أسس جديدة وعلى نمط جديد .

المرأة في الإسلام رمز الطهر والعفاف والحياء والنبل والفضيلة ، ومنبع الحنان والرحمة والمودة وهي الأم التي وضع الله الجنة تحت أقدامها ، والزوجة التي هي شرف الأسرة كلها ، والبنت التي بها تتجدد حياة الإنسانية ، والأخت في الأسرة وفي المجتمع ، يعرف الرجال الشرفاء حقها ، ويحفظون حرمتها ، ويغارون على شرفها ، ويصونون كرامتها ، ويعاملونها بمنتهى الأدب واللياقة والإكرام والإعزاز ، يقومون لتجلس ، ويتحملون ، ويحاربون لكي لا ينالها أذى .

ومهمتها الكبرى و وظيفتها العظمى أن تكون شريكة للرجل في الحياة ، تفيض بالود والسكينة على زوجها ، ويجد معها دفء المودة وظل الرحمة ؛ وراحة النفس ؛ والقلب من صراع الحياة ، وقسوة الأيام وظلم الناس ، فيسكن إليها ، ويطمئن برعايتها ، ويستمد من ذلك طاقة وقوة على الصمود والعطاء ومواجهة الصعاب ، فيضع يده في يدها ، ويمضيان معا في بناء الحضارة البشرية وعمارة الأرض ، كل واحد منهما يكمل الآخر .

ولها مهمة أكبر من هذه ، و وظيفة أعظم ، وهي أن تكون أما تحفظ كيان الأسرة وتصون قيمها الخلقية وتقاليدها ، وتربي أبناءها تربية صالحة مفعمة بالإيمان الذي يعمر قلبها ، والقيم والآفاق والآداب والتقاليد

والأعراف التي تنشبع بها ، والآمال ترتسم .

أما ما بدأت تواجهه المرأة في مجتمعاتنا الإسلامية من ظلم من بعض الأزواج ومن آخرين فلا تسمح به الشريعة الإسلامية بتاتا ، بل إنها تأمر أمرا مؤكدا بأداء حقها كاملا ، وهي قرينة الرجل ، فقد قال الله تعالى عنه وعنها : ﴿ هن لباس لكم * وأنتم لباس لهن ﴾ [البقرة/١٨٧] ، ويمكن أن نستدل من الآية أن المرأة حاجة الرجل ، و الرجل حاجة المرأة ، و بذلك يملأ كل واحد منهما فراغا في الآخر ، ويقضي كل واحد منهما بعضا من الحاجات التي لا يقضيها الآخر ، ولو لم يكن بينهما بعض هذه الاختلافات لما اقتضى الأمر إلى خلق الإنسان صنوين وعلى اختلاف في بعض الجوانب بينهما ، فالمرأة مفطورة على أن تلد الأولاد ، فاحتاجت لذلك إلى رقة وعطف زائدين لرعاية الأطفال ، ولظروف الأمومة ودورها الأسرى تنقطع بذلك في بعض الأحيان عن مسئوليات تقتضي مداومة الأعمال الأخرى ، وعلى رأس هذه الأعمال القوامة والإمارة ، واقتضت رقة نفسها وشدة عطفها إلى أن تكون شهادتها محتاجة إلى تأييد شهادة أخرى من أخراها ، وهذا الاختلاف ليس تحقيرا لها ، وأما ما يقع من عدم إنصاف طائفة من الناس له فإنه يقع بسبب عدم التزامهم بتعليمات الشريعة الإسلامية في الشئون العائلية وغيرها في حقوق المرأة ، ولا علاج لذلك إلا بالعودة إلى أحكام الشريعة الإسلامية والالتزام بالتعاليم الإسلامية ، و تطبيق ذلك من واجب الحكومات الإسلامية والمجتمعات المسلمة بإرشاد الناس وبالضغط الأخلاقي على المقصرين في ذلك ، وهو واجب من أجل تربية أبناء الأمة الإسلامية تربية صالحة .

* * *

احذروا هذه النشرات

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة : "البحوث الإسلامية" - الرياض)

اتصل بي أحدهم مخبرا أنه وجد في صندوق بريده نشرة تنصيرية ، فيها تشكيك في دين الإسلام ، وتأويل للقرآن الكريم ، على غير ما أنزل الله ، وما علمه رسول الله ﷺ لأصحابه ، وقد بعثتها لك ؛ لكي تطلع عليها ، وتعين في التصدى لهذه الحملات الموجهة .

وجدت عنوان هذه النشرة ، الذي سأوضحه للقارئ ، قبل الحديث عنها ؛ وهذا عنوانه : المركز اللوتري للخدمات الدينية في الشرق الأوسط ، برامج إذاعية مختلفة من إذاعة حول العالم في "مونت كارلو" .

دروس كتابية حول مواضيع روحية مختلفة للصغار والكبار .. مطبوعات تساعد على النمو الروحي .

أشرطة كاسيت للترانيم والمواضيع الروحية ، لمزيد من المعلومات يرجى الاتصال بالعنوان التالي :

ص.ب ٣٠٧-٦٠ بيروت لبنان .. ثم وضع أرقاما هاتفية ، واسم وعنوان من يريد مراسلتهم .. مع شعار الصليب و حروف إنجليزية تشير إلى الأم ..

وهذه مداخل للدعوة للدين النصراني ، الذي أبطله الله بدين الإسلام ، يقول سبحانه : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا * فلن يقبل منه * وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ [آل عمران/٨٥] ، وقوله تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [آل عمران/١٩] ، وجميع أنبياء الله دعوا للإسلام ، وإبراهيم أبو الأنبياء ؛ هو الذي سمى أمة محمد بالمسلمين : ﴿ وما جعل

عليكم في الدين من حرج * ملّة أبيكم إبراهيم * هو سماكم المسلمين من قبل ﴾ [الحج/٧٨] ؛ فهو دين الله الحق ، ختم الله به الرسالة .

وإن المسئولية الأولى تقع على موظفي البريد ، إذْ كيف يجعلون في صناديق البريد للجمهور ، مثل هذه الخطابات ؛ و هي ليست بأسماء أصحابها ، وقد حصل في صندوق بريدي الخاص ، والعمل أن جاءني مثل هذا .. خاصة وأننا في بلد ؛ قال فيها رسول الله ﷺ : "لا يجتمع فيها دينان" وأبعد عمر بن الخطاب النصارى واليهود منها .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر : فإن المسئولية التي حملنا سبحانه إياها يجب أن تؤدّى ، في تبيين الحق ، و عدم الكتمان بقوله تعالى : ﴿ وإنه لذكر لّك ولقومك * وسوف تُسألون ﴾ [الزخرف/٤٤] .

و لما جاء عمر بن الخطاب ﷺ ؛ لرسول الله ﷺ بصحيفة من التوراة ، غضب عليه الصلاة و السلام ، و قال : أفي شكّ مما جئت به يا ابن الخطاب ؟! والله لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتّباعي ..

وعيسى عليه السلام قد بشّر أمته بمحمد ورسالته ، يقول سبحانه في سورة الصف : ﴿ و إذْ قال عيسى بن مريم : يا بني إسرائيل ! إني رسول الله إليكم * مصدقا لما بين يدي من التوراة * ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ [الصف/٦] ، وكان من تحريفهم في الأناجيل ، التي وضعت بعد عيسى ، أن أزيلت هذه البشارة ، كما صرف وعدل غيرها ، ويفضحهم في هذا إنجيل برنابا الذي جاءت فيه هذه البشارة ، وغيرها مما نالته أيديهم بالتحريف .. ولم يسعهم في هذا إلا الطعن في صحة إنجيل برنابا ، حتى لا يكون حجة عليهم .. كما يوجد في مكتبة الفاتيكان مخطوطات ؛ لو ظهرت لفضحتهم .

لقد عصوا عيسى عليه الصلاة و السلام بجهلهم ، في ندائه لهم بأمور ، منها : أن عيسى عليه السلام يقول : إني رسول الله إليكم ، فحولوه من الرسالة

إلى العبودية ، وقالوا : هو الله ، فكفروا بذلك ؛ كما قال سبحانه : ﴿ لقد كفر الذين قالوا : إن الله * هو المسيح ابن مريم ﴾ [المائدة/١٧] ، وكفروا بقولهم إن المسيح ابن الله : ﴿ و قالت النصارى : المسيح ابن الله ﴾ [التوبة/٣٠] ، كما كفرهم الله بقولهم التثليث : ﴿ لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة ﴾ [المائدة/٧٣] .

وإننا نوجهها لهذا المركز ، وللقائمين عليه ، ولكل النصارى ، دعوة أمرنا الله بها ، بأن يبتعدوا عن الكفر الذي أثبته الله عليهم ، والاستجابة لنداء الحق الذي هو من عند الله عزّوجل في قوله الكريم الموجه لمحمد ﷺ ليخاطبهم ، بهذا النداء ، و أمته تبع له ، في تبليغ الدعوة ، إلى دين الله الحق : ﴿ قُل : يا أهل الكتاب ! تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم * ألاّ نعبد إلا الله * و لا نشرك به شيئاً * و لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾ [آل عمران/٦٤] الكلمة السواء إخلاص العبادة لله ، فلا نجعل بيننا وبينه وسطاء ، ولا نشرك معه في العبادة : القولية والفعلية غيره ، لا الرب يسوع المسيح ، ولا أمّه ، ولا عزير ، وهذا هو الأصل الأصيل ..

فعيسى المسيح عليه الصلاة والسلام ، يتبرأ من هذا العمل ، وذلك الاعتقاد ، لأنه مخالف ؛ كما جاء به من عند ربه ؛ يقول الله جلّ وعلا : ﴿ وإذْ قال الله : يا عيسى ابن مريم ! أأنت قلت للناس : اتّخذوني وأمي إلهين من دون الله * قال : سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحقّ * إن كنت قُلته * فقد علمته * تعلم ما في نفسي * ولا أعلم ما في نفسك * إنك أنت علاّم الغيوب ﴾ [المائدة/١١٦] .

فكيف تنسبون إليه ما يتبرأ منه ، وتزعمون أنكم تحبّونه وتتبعونه ، بل هو عليه السلام ، يؤكد في تكملة ذلك الجواب ما قاله لكم أولكم وآخركم ، لتقوم الحجة ، وتبرأ ذمته : ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به : أن اعبدوا الله ربي وربكم * وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم * فلما توفيتني كنت أنت

الرقيب عليهم * وأنت على كل شئ شهيد ﴾ [المائدة/١١٧] .

فهو وأمه شهداء عليكم بهذا الاعتقاد الفاسد ، وبالقول على الله بغير الحق ، فكيف ترضون أن يكذب اليهود عليكم في مثل هذه الاعتقادات و تتبعونهم ، ولما جاء بعض أجدادكم العقلاء ، ليخرجوكم عن تبعية اليهود ، وانعقد المؤتمر في مدينة "نيقيا" في حدود عام ٣٨٢م ، خالفتموهم في الظاهر لكم : كالختان وأكل لحم الخنزير ، وعدم تعدد الزوجات ، وعدم الطلاق ؛ وغير هذا من الأمور التي ألزمتم أنفسكم بها ، وتركتم الجوهر ؛ وهو العقيدة ، وصرف العبادة لغير الله ، مما أوجب نعتكم بالكفر بنصّ كلام الله سبحانه ، وهو حق لا مراء فيه .

وعبادة الله وحده لا شريك له ، هي الكلمة السواء ، التي أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يدعو أهل الكتاب إليها ، و هي المهمة التي خلق الخلق من أولهم إلى آخرهم ، ومن إنسهم وجنّهم من أجلها .

= كما عصوا عيسى عليه الصلاة والسلام ، في تبشيرهم برسالة محمد ﷺ الذي يأتي بعده .. الذي حسده أهل الكتاب ، و عاندوه ، و كذّبوه ، مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وقالوا : إنما جاء به سحر .. و وضعوا في سبيل دعوته وصدّ الناس عنها الشئ الكثير ، و والوا في هذا عبدة الأصنام من العرب ، وتساعدوا معهم في حرب رسول الله ﷺ لإسكات صوت الدعوة ، و القضاء عليها في مهدها ، و لكن الله مظهر دينه ، وناصر أنبياءه وأولياءه في كل عصر ومصر ، لأن العاقبة للمتقين ..

وإذا عدنا إلى ذلك المنشور ، نراه يطرح شبهاً ، يعتمد فيها التضليل والتمويه :

= الشبهة الأولى : حول تغيير الكتاب المقدس ، ونفيه أنه تغير قبل بعثة محمد ﷺ ، وإلا لبان ذلك ، وذكر في القرآن الكريم ؛ ونقول له : إن التغيير والتبديل كان قبل بعثة محمد ﷺ ، وقد جاء الخبر عنهم في آيات

كثيرة تبين تحريف كلام الله من أهل الكتاب ، وهم اليهود والنصارى ، في حوار طويل ، و إخبار حق بسورة البقرة ؛ و آل عمران ؛ و النساء ؛ و المائدة ، يقول الله سبحانه : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم * وجعلنا قلوبهم قاسية * يحرفون الكلم عن مواضعه * ونسوا حظا مما ذكروا به * ولا تزال تطلع على خائنة منهم ﴾ [المائدة/١٣] .

وفي سورة البقرة يقول سبحانه عن أهل الكتاب : ﴿ وقد كان فريق منهم * يسمعون كلام الله * ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه * وهم يعلمون ﴾ [٧٥] ، وفي سورة آل عمران يخبر عنهم سبحانه بقوله : ﴿ وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب * لتحسبوه من الكتاب * وما هو من الكتاب * ويقولون : هو من عند الله * وما هو من عند الله * و يقولون على الله الكذب * وهم يعلمون ﴾ [٧٨] .

في عهد رسول الله ﷺ : حرفوا آية الرجم في الزنا في حادثة حصلت .. كما نهى ﷺ : أن يكونوا كبني إسرائيل ؛ فإنهم إذا زنا فيهم الضعيف ؛ أقاموا عليه الحد ، وإذا زنا الشريف درأوا عنه الحد .. و هذا من تغيير الكتاب ؛ وما فيه من أحكام .

= أما الشبهة الثانية : وهي لمصالح من من الطوائف كان تحريف الكتاب المقدس : لصالح الكاثوليك ، أم الأرثوذكس ، أم لصالح الطوائف المستقلة .. إلى آخر ما جاء عن هذه النقطة في منشورهم ، ونقول له : إن دين الله واحد ؛ لا طوائف فيه ولا أحزاب ، ولا تكتلات تطغى فيها الآراء البشرية .. والاختلاف الذي جاء عند النصارى ، مبعثه المعاندة لشرع الله ، واتباع طريق من جاء قبلهم ، بالاختلاف على الأنبياء ، وعدم الانصياع لأمر الله ؛ اسمع قول الله جل وعلا : ﴿ وما تفرق الذين أوتوا الكتاب * إلا من بعد ما جاءتهم البينة ﴾ [البينة/٤] ؛ فاليهود بدأ خلافهم وتبديلهم ؛ و موسى لا زال بين ظهرانيهم ، وعيسى كذلك مع اليهود والنصارى ، بل

زعم أنهم قتلوه وصلبوه ؛ فأكذبهم الله في القرآن الكريم .

فعدي بن حاتم كان نصرانيا ، وجاء من الشام لرسول الله ﷺ مسلما ، فقرأ عليه رسول الله ﷺ آيات من سورة التوبة : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم * أربابا من دون الله * والمسيح ابن مريم * وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا * لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ [٣١] ، قال عدي : إنا لسنا نعبدهم ؟ قال : "أليسوا يحرمون ما أحل الله ؛ فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله ؛ فتحلونه ؟" ، قال : بلى ، قال : فتلك عبادتهم .

فاليهود والنصارى كلهم حرفوا كلام الله ، و كلهم غيروا شرعه .. لأنهم ابتعدوا عن الأصل الذي دعوا إليه : وهو عبادة الله وحده ؛ لا شريك له ، فاتخذوا مع الله شريكا في العبادة والعقيدة .. فضلوا وتفرقوا فكانت الفرق التي ذكرت في هذا المنشور ، وهذه المرئيسية ، وتفرقت منها فروع ، كل فرقة تختلف عن الأخرى ، وترى الحق معها ، وهم على غير الطريق المستقيم ، لأن دين الله لا يخضع للمقاييس البشرية وأهوائهم ، ومثل ما حصل في هاتين الملتين ، حصل أيضا عند غيرهم ، كما جاء في كتاب الملل والنحل ، عند الشهرستاني ، وفي الفصل في الملل والنحل عند ابن حزم ، وعند ابن تيمية ، بل وعند بول ديورانت في موسوعته : قصة الحضارة ذكر كثيرا من الملل عند اليهود والنصارى ، وتاريخ الاختلاف بينهم ، فكلهم لا يزالون مختلفين لأنهم تركوا الحق ؛ واتبعوا الباطل ، فنحن ندعوهم لما دعاهم الله إليه في كتبهم قبل تحريفها ؛ وهو الحق .

ورسول البشرية جمعاء محمد عليه الصلاة والسلام ، أخبر عن هذا الاختلاف والافتراق ، وسبيل النجاة ؛ فقال في الحديث الصحيح : "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين و سبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، قيل : من هي ؟ يا رسول الله ! قال : من كانت على مثل ما أنا

عليه وأصحابي" .

وافتراق سببه نزعات النفوس ، واتباع الهوى .. وهي حكمة أرادها الله : ﴿ ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك * ولذلك خلقهم ﴾ [سورة هود/١١٨] .

وإن ما أشار إليه صاحب المنشور بأن آلاف النسخ من الكتاب المقدس من القرن السابع ، ولا يوجد فيها اختلاف ، ونقول له الواقع يثبت غير ما تقول ، فمنذ ٣٠/عاما وجد راعي أغنام في مغارة قرب البحر الميت بمنطقة "أريحا" ، وهو يسوق أغنامه ، واحدة منها قد دخلت في المغارة ، فجاء لإخراجها ، و وجد إناء من فخار ، به جلود مطوية بها كتابة ، ولأنه أمي ، فقد جاء بها إلى بيت لحم ، ليبيعها لأصحاب حوانيت التحف ، عند مدخل كنيسة المهد ، فقال له واحد منهم : إنها لا تساوي شيئا – حتى يزهده فيها – ؛ ولكن سآخذها منك بدينارين أردنيين ، وأذهب معك لتريني المغارة بدينارين آخرين .. فوافق البدوي ، وشاع الخبر وهرب بها صاحب الحانوت إلى الفاتيكان بإيطاليا .

لقد وجدوا الكتابة باللغة السريانية القديمة ، وأنها لو ظهرت لكانت حجة على الأناجيل الحالية ، وعلى ما في أيدي الناس من التلمود – العهد القديم – وهو الكتاب المقدس عند اليهود .. اختفى الرجل ؛ واختفت الصحف التي أثير حولها حديث طويل ، وقيل : إنها أودعت المكتبة السرية في الفاتيكان التي يرعاها ، ويحافظ عليها كبار الكرادلة .

= أما قوله بأن القرآن الكريم يشهد في آيات كثيرة بصحة التوراة والإنجيل .. ولكن ما أورده من آيات من سورة المائدة حجة عليهم ، فالإنجيل الذي أوتيه عيسى صحيح ؛ ويشهد القرآن الكريم بصدقه ، و تصديقه لما في التوراة ، وكلنا نؤمن بالله وبملائكته وبرسله جميعا ، وما أنزل عليهم من كتب .. لكن ما في أيدي اليهود ، وما في أيدي النصارى فيه

تعديل وتبديل ، كما أوردنا شواهده القليلة .. وإلا فما جاء في القرآن الكريم يفضحهم كثير جدا ، والآيات الثمانون من أول سورة آل عمران ، فيها إبانة عن أمور حقيقية ، وخاصة فيما جاء بقصة عيسى عليه السلام وأمه ، و هو مخالف لما في أيديكم اليوم من هذه الكتب ، ولما أنكر نصارى نجران في جدالهم مع رسول الله ﷺ ، وعاندوا ، نزلت آية المباهلة ، التي خاف كبير نصارى نجران منها ، وقال لجماعته : تعلمون أنه ما باهل قوم نبيا إلا أهلكهم الله ، فاستمهلوه عليه السلام سنة .. فذهبوا ولم يرجعوا ..

وهذه الآية هي : ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم * فقل : تعالوا * ندع أبناءنا وأبناءكم * ونساءنا ونساءكم * وأنفسنا وأنفسكم * ثم نبتهل * فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ [آل عمران/٦١] ، ونحن اليوم ندعو صاحب النشرة للمباهلة أيضا ؛ ولأن أهل الكتاب لم يحكموا بما أنزل الله ، وغيروا التوراة والإنجيل ، جاء وصفهم ، ومن يماثلهم ممن لم يرض بحكم الله بالفسق والظلم والكفر ..

فإن كنت تعتقد صحة ما ذكرت فأكمل الآية بعدها ؛ و هي : ﴿ و كتبنا عليهم فيها * أن النفس بالنفس * والعين بالعين * والأنف بالأنف * والأذن بالأذن * والسن بالسن * والجروح قصاص ﴾ [المائدة/٤٥] ، فهل أهل التوراة وأهل الإنجيل يحكمون بما أنزل الله ، أم أنهم غيروا حكمه ، وصاروا حتى اليوم يضعون المملكة العربية السعودية ، في قائمة المخالفين لحقوق الإنسان ، ويصفون أحكامها التي هي حكم الله المنزل في القرآن الكريم بامتهان بحقوق الإنسان .. فهل حكمكم أحسن من حكم الله ؛ وارأف أو أعدل منه .

وكدليل على أن التبديل مستمر في أناجيلهم ، أن في أميركا اللاتينية دعوة على أشدها بتخفيف وتعديل الأناجيل .

وقبل ربع قرن تحدثت صحفية أميركية تهاجم الكنائس ورجالها –

وهذا قبل فضيحة القس سوجر الذي تناظر مع الشيخ أحمد ديدات ، وتقول : لا يوجد في الأناجيل ذكر للمرأة ، بينما القرآن الكريم خاطبها كثيرا ؛ و بين حقوقها ، فتم اجتماع كنسي صدرت بموجبه طبعه من الإنجيل تخاطب المرأة .. و بذا أصبحت الأناجيل عندكم تغير حسب ما تصف الأهواء ، ويلذ للألسن .

ومع هذا فنحن المسلمين نؤمن بالتوراة وبالإنجيل ، لأنهما من عند الله ، ولكن أعطانا رسولنا الحبيب الأعظم عليه الصلاة والسلام مقياسا نزن فيه ما يرد عنهما من أخبار ونصوص : بأن شرع الله واحد ، فما وافق شرعنا من الكتاب والسنة ، فهو الجانب الذي لم يبدل ، وما خالفهما نرفضه لأنه مما دخله العبث والتبديل بما تصف الألسن .. وأخبرنا القرآن الكريم : أن اليهود والنصارى لن يرضوا عن رسول الله ﷺ ؛ حتى يتبع ملتهم ، مع أن بعضهم لا يرضى أن يتبع ملة الآخر ، وندعوكم للإسلام ؛ والكلمة السواء ، فإن توليتم ؛ فنشهد الله ؛ ثم نشهدكم بأننا مسلمون ، ولن نحيد عن إسلامنا ؛ ونسأل الله الثبات عليه ، والحديث طويل ؛ ولعله يتاح له فرصة أخرى .

الأعمال بالخواتيم :

ذكر ابن كثير رحمه الله في تاريخه قصتين ، فيهما عظة وعبرة ، إحداهما بسوء الخاتمة ، والأخرى بحسن الخاتمة ، وليس الأمر بكثرة العمل:

الأولى – جاء فيها : أن رسول الله ﷺ التقي ، مع المشركين في بعض مغازيه ؛ فاقتتلوا ، فمال كل قوم إلى معسكرهم ، وفي المسلمين رجال لا يدع من المشركين شاذة ولا فاذة ، إلا اتبعها فضربها بسيفه ، فقيل : يا رسول الله ! ما أجزأ منا أحد ما أجزأ فلان ، قال : إنه من أهل النار ، فقالوا : أينا من أهل الجنة ، إن كان هذا من أهل النار ؟ فقال رجل من القوم : لاتبعنه ؛ فإذا أسرع و أبطأ كنت معه ، حتى جرح ، فاستعجل الموت ، فوضع نصاب سيفه بالأرض ، وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل عليه ،

فقتل ؛ فجاء الرجل إلى النبي الحبيب ﷺ ؛ فقال : أشهد أنك رسول الله ، قال : وما ذاك ؟ فأخبره خبر الرجل ، فقال : "إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ، فيما يبدو للناس ، وإنه من أهل النار ، ويعمل بعمل أهل النار ، فيما يبدو للناس ، وإنه من أهل الجنة" . [رواه البخاري]

الثانية : كانت في غزوة خيبر رواها ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة ؛ قالا : جاء عبد حبشي أسود ، من أهل خيبر، كان في غنم لسيده ، فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح ، سألهم قال : ما تريدون ؟ قالوا : نقاتل هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ..

فوقع في نفسه ذكر النبي .. فأقبل بغنمه ، حتى عمد لرسول الله ﷺ ؛ فقال : إلى ما تدعو ؟ قال : أدعوك إلى الإسلام ، إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، وأن لا تعبد إلا الله ، قال : فقال العبد : فماذا يكون لي إن أنا شهدت بذلك ، وآمنت بالله ، قال رسول الله ﷺ : الجنة إن مت على ذلك .

فأسلم العبد .. فقال : يا نبي الله ﷺ ! إن هذه الغنم عندي أمانة ، فقال رسول الله ﷺ : أخرجها من عسكرنا ، وارمها بالحصا ، فإن الله سيؤدي عنك أمانتك ، ففعل .. فرجعت إلى سيدها ، فعرف اليهودي أن غلامه قد أسلم ، فقال رسول الله ﷺ فوعظ الناس ، فذكر الحديث في إعطائه الراية لعلي ، ودنوه من حصن اليهود ، وقتله مرحبا ، وقتل مع علي ذلك العبد الأسود ، فاحتمله المسلمون إلى عسكرهم ، فأدخل الفسطاط ، فزعموا أن رسول الله ﷺ اطلع في الفسطاط ، ثم اطلع على أصحابه ، فقال : أكرم الله هذا العبد ، وساقه إلى خير ، و قد كان الإسلام في قلبه حقا ، وقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين ... و قيل فيه : قتل شهيدا ؛ وما سجد لله سجدة .. والله يؤتي فضله من يشاء ، نسأل الله حسن الختام ؛ وإخلاص النية في القول والعمل . [البداية والنهاية : ٤/٢٢٤-٢٢٥]

* * *

الدعوة الإسلامية :

المضمون الإعلامي
في الدعوة الإسلامية

[٢/الأخيرة]

بقلم : الدكتور أحمد عبده عوض

الثانية : الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة : يقول الحق سبحانه : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة * والموعظة الحسنة * وجادلهم بالتي هي أحسن * إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله * وهو أعلم بالمهتدين ﴾ [النحل/١٢٥] ، واستوجبت هذه الحكمة الصبر على قومه والأخذ بأيديهم إلى رحاب الله ، وضرب الأمثال لهم ؛ لتقريب الفهم. والداعية الحق هو الذي ينتهج حكمة وعقلانية وموضوعية في دعوة الناس .

وتعضد هذه الحكمة والرشاد – التي تكون بالأمر بالأخلاق الحميدة ؛ والنهي عن الصفات الرذيلة – بشئ مهم هو الأخذ بالموعظة الحسنة في الدعوة ؛ و ذلك بعدم التشديد على الناس ، وعدم التعسير عليهم ، والرفق معهم ، وفتح باب الرجاء أمامهم ، وهذا ما تؤكده سلوكياته ﷺ في التيسير على من يدعوهم ، ومن يطلبون الهداية ، وكان لهذا النمط الآخاذ من المعاملة بالرفق الأثر العظيم في دخول كثير من الكفار؛ و أهل الكتاب في دين الله تعالى ، بل تجده ﷺ يتسع صدره لأخطاء الناس و يحاورهم بأسلوب رقيق ؛ ليدركوا أخطاءهم بأنفسهم دون الموعظة المباشرة ، و من ذلك أن غلاماً شاباً أتى النبي الكريم ﷺ ، فقال : يا نبي الله ! أتأذن لي في الزنا ؟ فصاح الناس ؛ فقال النبي الكريم ﷺ : قربوه ، ادن فدنا حتى جلس بين يديه ؛ فقال ﷺ : أتحبه لأمك ؟ فقال : لا ، جعلني الله فداك ، قال : كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم ... أتحبه لأختك ؟ وزاد ابن عوف

حتى ذكر العمة و الخالة ، و هو يقول في كل واحدة : لا ، جعلني الله فداك ، وهو ﷺ ، يقول : كذلك الناس لا يحبونه ، فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره ، وقال : اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصن فرجه ، فلم يكن شئ أبغض إليه منه ؛ يعنى الزنا .(١)

وهكذا نجد حكمته الفريدة ﷺ في محاورة هذا الرجل الذي استولت الرذيلة على نفسه ، فإذا برسول الله ﷺ يُبدل تعلقه بالذنب ، وطلبه الترخيص له بالزنا إلى دعاء صادق بطهارة القلب ، ومغفرة الذنب ، وتحصين الفرج ، مما جعل الرجل يتحول إلى بُغض لها ، ونفور منها ؛ بعد أن استخلص الرسول الكريم ﷺ ، وساوس الشر وجذور المعصية من قلبه وعقله وبدنه .

ولك أن تتأمل معي في قصة هذا الشاب ؛ فلو أن الرسول الكريم أغلظ عليه في القول وشدد عليه في النكير ، وأمر بإخراجه لأنه شيطان مارق ؛ لأدى هذا إلى قنوط الشاب من رحمة الله ، وقد ينغمس في شهواته ؛ آخذاً اتجاهاً سلبياً ما دام داؤه قائماً ، وعلته موجودة ، وآخذة في الاستفحال والكبر .

ونجد تصديقاً نبوياً آخر لما تقدم ، في رفقه ﷺ بالجاهل ، وتعليمه في أناة وصبر من غير تعنيف وتسفيه ، و من غير زجر وشدة ؛ ولنستشهد على ذلك بهذا الحديث الصحيح ؛ الذي رواه أنس بن مالك ﷺ : بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي ؛ فقال : يبول في المسجد ؛ فقال أصحاب رسول الله ﷺ : هه ... هه ، فقال الرسول الكريم : لا تزرموه (لا تقطعوا عليه بوله) دعوه ، فتركوه ؛ حتى بال ، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه ؛ فقال له : إن هذه المساجد لا تصلح لشئ من هذا البول ولا القذر ،

(١) أخرجه الإمام أحمد بإسناد جيد عن أبي أمامة ﷺ .

وإنما هي لذكر الله عزّوجل ، والصلاة ، وقراءة القرآن ، ثم أمر الرسول الحبيب ﷺ رجلاً من القوم ؛ فجاء بدلو من ماء فشنه عليه (أي صبه على موضع النجاسة) .(٢)

وهكذا تركه الرسول الكريم ﷺ حتى ينتهي الموقف ، ثم يعلمه في رفق وأبوة ، ولرُبما قطع الرجل بوله مخافة الناس ؛ فأضر نفسه ، ولعله كان سينجس مواضع أخرى من المسجد إذا أخذ في التحرك للخارج ؛ و هو يبول ، ولعله كان سينجس بدنه كذلك ، وتنتشر النجاسة .

وهذه المواقف تمثل درساً تعليمياً قوياً في توجيه الناس ، وتبصير الدعاة بكيفية الدعوة بالحسنى ، والتعامل مع أمراضهم وعللهم وأخطائهم بالحكمة السديدة .

ومن الموعظة الحسنة لديه ﷺ التزام منهج محدد في التيسير على الناس ، وكلماته ﷺ في ذلك أضحت صورة ناطقة بيسر الإسلام ، ففي حديث أنس ﷺ عنه ، يقول الرسول الكريم ﷺ : "يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا" (٣) ، والأحاديث التي تنطق بعدم الغلو كثيرة ، ومنها قوله ﷺ في بيان الفطرة الصحيحة "لكل عمل شرة ، ولكل عمل فترة ، فمن كانت فترته إلى سنتي ؛ فقد اهتدى" (٤) ، ولذا كان النبي الكريم ﷺ ينكر على هؤلآء الذين يعتقدون أن الإفراط في العبادة أمر محبب إلى الله

(٢) الحديث أوردته كتب الصحاح عن أنس بن مالك ﷺ - ولفظ البخاري - رحمه الله : بال أعرابي في المسجد ؛ فقام الناس ليعوا فيه ، فقال النبي الكريم ﷺ : "دعوه وأريقوا على بوله سجلاً (دلواً) من ماء ، فإنما بعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين" .

(٣) أخرجه البخاري عن أنس بن مالك ﷺ .

(٤) أخرجه البخاري ، والشرة أي الجدة وبلوغ الحد الأقصى ، والفترة هي الفتور والتراخي .

تعالى ، فأوضح سنته لهؤلاء النفر الذين قدموا إلى منزله ﷺ ؛ فسألوا السيدة عائشة عن عبادته ﷺ فكأنهم تقالوها ، فقال أحدهم : أما أنا فأقوم الليل كله ، وقال الثاني : أما أنا فأصوم الدهر كله ، وقال الثالث : أما أنا فلا أتزوج النساء ، فإذا به ﷺ يخرج إليهم قائلاً : أنتم الذين تقولون كذا وكذا ، أما أنا فأقوم وأنام ، أصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، وهذه سنتي فمن رغب عن سنتي ؛ فليس مني" (٥) .

وكان منهجه ﷺ في أمر أصحابه ألا يكلفوا أنفسهم فوق طاقتها ؛ لأن الله تعالى لا يمل حتى تملوا ، و أحب العمل إلى الله تعالى أدومه وإن قل ؛ فعن أنس بن مالك ﷺ : "دخل النبي الكريم ﷺ المسجد فإذا بحبل ممدود بين الساريتين ؛ فقال : ما هذا الحبل ؟ قالوا : هذا حبل لزينب ؛ فإذا فترت تعلقت ؛ فقال النبي الكريم ﷺ : لا حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليقعد" (٦) .

ونلتمس توجيهاً كريماً منه ﷺ في الحديث الذي رواه ابن عباس ﷺ عنه ؛ يقول : سمعت عبد الله بن عمرو ﷺ عنه ، قال : قال لي النبي الكريم ﷺ : "ألم أخبر أنك تقوم الليل ؛ وتصوم النهار ؟ قلت : إني أفعل ذلك ، قال : إنك إذا فعلت ذلك هجمت عينك ، ونهكت نفسك ، وإن لنفسك عليك حقاً ، ولأهلك حقاً ، فصم وأفطر ، وقم ونم" (٧) .

وإنك لتجد مواقف أخرى تؤكد حرصه ﷺ على الموعظة الحسنة في عدم إثقاله على الصحابة بالموعظة ؛ مخافة الملل والسأم ، و هذا إدراك شامل لطبيعة النفس البشرية ، فيقول ابن مسعود ﷺ ، كان النبي الكريم ﷺ

(٥) أخرجه البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٦) أخرجه البخاري عن أنس بن مالك ﷺ .

(٧) أخرجه البخاري عن ابن عباس ﷺ ، وهجمت أ ضعفت ، ونهكت : أي كلت .

يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا (٨) .

الثالثة : الموازنة في أمور الدعوة : كما أن الدعوة إلى الله تعالى تكون بالحكمة والموعظة الحسنة ؛ فإنها كذلك تراعي ظروف المتلقين وأحوالهم ؛ مما يستلزم فقهاً في الدعوة ، وذلك بالبدء بالأهم ، وتقديم الأساسيات على الفرعيات ، بل و ترك الأمر بالمعروف مخافة وقوع الناس في الفساد ، ونجد تأكيد ذلك في الأحاديث النبوية الكريمة ، وفيما فعله رسول الله ﷺ فقد ترك الرسول الكريم ﷺ قواعد الكعبة المشرفة كما هي ، ولم يشأ إعادتها إلى قواعد الخليل إبراهيم عليه السلام مخافة وقوع فتنة بين الناس ، خاصة أن الإيمان لم يستقر في قلوبهم بعد (٩) ، فعن ابن عمر رضي الله عنه عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ ، قال لها : "ترى أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد إبراهيم ، قلت : يا رسول الله ! ألا تردها على قواعد إبراهيم ؟ قال : لو لا حدثان قومك بالكفر لفعلت" (١٠) ، ويقول لها أيضاً ﷺ : "لو لا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت ، ثم لبنيته على أساس إبراهيم عليه السلام ؛ فإن قريشاً استقصرت بناءه ، و جعلت له خلفاً (١١) .

وهكذا ترك رسول الله ﷺ إنكار المنكر خشية الوقوع في منكر أشد ، وهو قيام فتنة بين الناس ، وظنهم أنه ﷺ يريد بهذا أن يفضلهم ،

(٨) أخرجه البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٩) لمزيد من الشرح يمكن الرجوع إلى تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذْ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ﴾ [البقرة/١٢٧] ، وذلك في تفسير الإمام ابن كثير ، وتفسير الإمام القرطبي ، وتفسير الفخر الرازي .

(١٠) أخرجه البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

(١١) أخرجه البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

ويفخر عليهم ذلكم أنهم – قريش – كانوا يعظمون الكعبة ، وهي مصدر قوتهم وسلطانهم ؛ ولم يكن لهم قبول أي تغيير فيها ، ولن يقفوا سالبين إزاء ذلك ، وهذا ما أدركه الرسول الكريم ﷺ بفكره الثاقب ، وسلوكه القويم.

وهذه الموازنة في أمور الدعوة والتي رأينا تأسيساً لها في فكره وسلوكه ﷺ يجب أن تكون موجودة لدى كل داعية يتعامل مع الناس ، فيبدأ بالأمور الأهم في شئون الدعوة ، ولا يدخل بهم في تفريعات فقهية وفكرية ، ولا يلج بهم في أمور خلافية ومذهبية إلا بعد أن يستوفي الأصول الرئيسة من الإيمان والفرائض والقواعد ، فإذا ما أشرب الناس ذلك وفهموه وطبقوه واهتدوا به ؛ أخذهم بعد ذلك إلى الفروع وليس إلى الخلافات التي تعكر صفو الحياة الدينية ، وتجعل النفوس غير مطمئنة (١٢).

ويمكن القول : إن هناك سمات أخرى لمنهجه ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى ؛ نكتفي بالإشارة إليها فقط هنا ، وذلك مثل : التزام القدوة الحسنة ، معاودة الدعوة لمن يعارضها ، الجمع بين الترغيب والترهيب ، الالتزام بالصدق في الدعوة ، الإخلاص والتجرد لله تعالى ، مواجهة الأفكار المنحرفة ، الحرص على تبليغ .

الخاتمة :

وبعد – فإن تناولنا المتقدم للجانب الإعلامي ومضامينه في الإسلام أردنا به إبراز جانب مهم من مضامين الحضارة الإسلامية ؛ الذي يؤهلهم

(١٢) ولعل تدرج القرآن الكريم في تحريم الخمر – على ثلاث مرات – ما يؤكد المنهج الإسلامي السابق الذي نفذه صلى الله عليه وسلم في دعوة الناس ثلاثة عشر عاماً إلى توحيد الله تعالى ؛ فإذا ما أدرك الناس ذلك ، وتحول ذلك إلى سلوك أخذت آيات الأحكام تنزل عليهم في مدينة النور –المدينة المنورة– ويعلمهم رسول الله ذلك ، وهذا من فقه الدعوة الإسلامية .

لدور نهضوي عظيم ، ويعد أحد منطلقات البعث الحضاري المنشود ، وهـذا الجانب يعكس تكامل الرؤية الإسلامية في الإعلام ، والتبليغ ، والدعـــوة ؛ وفي شمولية المنهج الإعلامي في الإسلام مما لا نجد لـــه نظـيراً في الديانـات والشرائع الأخرى .

ونستطيع إيجاز الرؤية التكاملية للإعلام في الإسلام في النقاط التالية :

١- استوجبت الرسالة الإسلامية الجامعة وجود مجـالات متنوعـة للتبليغ والإعلام ، وبصورة فردية ، وبصورة جماعية ، وتركز جهد أنبياء الله في تبليغ رسالتهم ، وإيصال رسالة التوحيد إلى الناس جميعاً .

٢- تنوعت قنوات الاتصال في عهد النبوة لدى الرسول الكـــريم ﷺ فكان ذلك بالاتصال الشخصي عن طريق إرســـال الوفـــود والرســـل والرسائل ، أو بالاتصال الجماعي عن طريق مجالس العلم والخطب والوعظ.

٣- اختلف مضمون خطبه ورسائله و وعظه ﷺ باختلاف حالـــة المتلقي ، فهي تبدأ بالدعوة إلى التوحيد ، ثم تتجه إلى أمور تشريعية وأخلاقية و تصحيحية ؛ كما راعت رسائله ﷺ عقيدة المتلقي ، وكيفيـــة دعوتـــه إلى دين الله تعالى ؛ كما اختلف الرسالة الإعلامية النبوية في خـــارج الجزيـــرة العربية عن فحواها داخل المجتمع الوليد .

٤- الدعوة إلى الله هي الركيزة الأساسية في النظرية الإعلاميـــة في الإسلام ؛ وبين القرآن الكريم ؛ ومنهج الدعوة الإسلامية الصحيحة ، روحاً وأسلوباً ومضموناً ، كما ضُمن أدب النبوة منهجاً حركياً شاملاً في كيفيـــة الدعوة إلى الله تعالى .

٥- في حياة الرسول الكريم ﷺ المثال الأعظم للدعوة إلى الله تعالى ، والإعلام بها ، وذلك في حرصه على التبليغ بشتى الوسائل ، وفي صلابتـــه و قوة إرادته ، ورسوخه في الحق ، وفي قناعته بدعوته ، وإيمانه بقوة رســـالته ؛ ومستقبلها المنتظر ، وفي إيمانه ﷺ بتبليغ دعوتـــه ، وفي جـــهاده في دعـــوة

المشركين ، وفي استغلاله لكل مناسبة لدعوة قومه .

٦- ثم سمات متعددة لمنهجه ﷺ في الدعـــوة إلى الله تعـــالى ، وفي الإعلام بدين الله ، ومن ذلك : الدعوة إلى مكارم الأخـــلاق ؛ والدعـــوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، و الموازنة في أمور الدعوة ، وفي التـــزام التيسير - إلى غير ذلك مما أشير إليه .

٧- ارتكز المنهج الإسلامي في الدعوة على أمانة الكلمة ، وعلـــى خطورتها ، وذلك بالدعوة إلى القول الحسن ، وإقدار الكلمـــة الحســـنة ، والتحذير من الكلمة الخبيثة ، وهذا المنهج واضح في القرآن الكـــريم ، وفي الحديث النبوي الشريف ، وفي أقوال الصحابة وعملهم .

٨- أقدر المنهج الإعلامي في الإسلام دور الحـــواس في التلقـــي ، وذلك في السمع والبصر ؛ وهما النافذتان على قلب المرء ؛ الذي بصلاحـــه يصلح البدن كله ، وبفساده يفسد الجسد كله ، وهذا ما يتضح في حديـــث القرآن الكريم عن السمع والبصر والفؤاد ، وعما يعـــرض للقلـــب مـــن تحولات بالخير أو الشر ، وبالصلاح أو الفساد .

٩- للخطاب الإعلامي الإسلامي دور تعليمي وإرشادي ودفـــاعي يجمع كلمة المسلمين ويرشد الصحوة الإسلامية ، ويتصدى للغزو الثقـــافي ، ويحصن الأمة ، وله مواصفاته المأخوذة من مضامين المنهج العام في الدعـــوة إلى الله تعالى .

١٠- للقائم بالاتصال أو الداعية إلى الله تعالى أجر عظيم عنـــد الله تعالى ، ولذا عليه ألا يبغي من وراء رسالته جزاءً مادياً أو معنوياً ، ﴿ ومـــا أسألكم عليه من أجر * إن أجري إلا على رب العالمين ﴾ [الشـــعراء/١٠٩] ، وعليه أن يطلب العون من الله تعـــالى دومـــاً ، ولا يجـــح إلى الإغـــراء ؛ والاستجابة إلى الفتنة ، ولا يميل إلى الخصومة في شأن الدعوة ، ويتميز بسعة الصدر ، والتسامح ، وعدم الاستهزاء بـــالآخرين ؛ والتـــزام الأمانـــة ؛

والصدق في توصيل رسالته .

وختاماً : فإنه لا سبيل إلى استعادة هذه الأمة لمجدها إلا باستلهام عظمة دينها ، والعودة إلى مضامينه الحضارية ، وتبليغ الدعوة إلى الله لكل الناس ، وغرس حقائق الوحي ؛ ونور السماء في نفوس الناس ؛ وانتشالهم من أوهام المادة ، وإزالة حجبات الظلام عن عيونهم وقلوبهم ، والأخذ بأيديهم إلى هداية الله تعالى .

و على هذه الأمة دور عظيم ومسئولية أعظم في نشر دين الله تعالى ؛ وفي تبليغ الإسلام إلى كل العالم ، وانطلاق هذه الدعوة مرهون بيقظة أهلها ، وإدراكهم للدور المنوط به أداؤه ، ويقينهم بأن النصرة من الله تعالى لن تكون إلا بالرجوع إلى دينه ، و لن يصلح أمر هذه الأمة في آخرها إلا بما صلح به أولها : ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات * ليستخلفنهم في الأرض * كما استخلف الذين من قبلهم * وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم * و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً * يعبدونني لا يشركون بي شيئاً * ومن كفر بعد ذلك * فأولئك هم الفاسقون ﴾ .[النور/٥٥]

﴿ ومَنْ أحسن قولاً ممن دعا إلى الله ۞ وعمل صالحا ۞ وقال : إنني من المسلمين ﴾

* * *

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ؛

وتقبل منا يا ذا الجلال والإكرام

* * *

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المسجد الأقصى

بقلم : الدكتور أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

منذ أكثر ما يزيد عن ربع قرن وقعت مدينة القدس في قبضة الاحتلال الإسرائيلي ، ومنذ ذلك الحين وبيت المقدس أسيرا في أيديهم ، يعيثون فيه فسادا ؛ بل ويخططون لهدمه ، وبناء هيكلهم أو معبدهم المزعوم على أنقاضه ، وتهويد المدينة بأكملها لمحو أي أثر للإسلام وللمسلمين فيها ، وقبل أن يأتي اليوم الذي يصير فيه المسجد الأقصى أثرا بعد عين ، نذكر أنفسنا وإخواننا في الدين بمكانة المسجد الأقصى في الإسلام ، ولدى المسلمين خلفا بعد سلف ، حتى لا يضنوا بغال أو نفيس من أجل إنقاذه من أيدي الصهاينة ؛ فالمسجد الأقصى ؛ هو أول القبلتين ، اتجه المسلمون إليه في صلاتهم قرابة ستة عشر ؛ أو سبعة عشر شهرا ، وتشوق رسول الله ﷺ إلى أن تتحول القبلة إلى المسجد الحرام ؛ حيث الكعبة المشرفة ، فاستجاب الله لدعائه ، قال تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء * فلنولينك قبلة ترضاها * فول وجهك شطر المسجد الحرام * وحيث ما كنتم * فولوا وجوهكم شطره ﴾ [سورة البقرة/١٤٤] ، فكان هذا توجيها إلهيا من الله لرسوله ﷺ ، وللمسلمين أن يتجهوا في صلاتهم إلى المسجد الحرام ، ولا تزال مدينة الرسول الحبيب ﷺ تضم مسجد ذي القبلتين ، شاهدا حيا على الترابط الديني بين مكة ؛ والقدس ، وبين المسجد الحرام ؛ والمسجد الأقصى.

والمسجد الأقصى ثاني المسجدين ، روى المحدثون عن أبي ذر ﷺ ، قال : سألت رسول الله ﷺ أي مسجد وضع أولا ؟ قال : (المسجد الحرام)، قلت : ثم أي ؟ ، قال : (المسجد الأقصى) ، قلت : وكم بينهما ، قال :

"أربعون عاماً ، والأرض لك مسجد ؛ فحيثما أدركت الصلاة فصل" [سنن النسائي] (١) .

والمسجد الأقصى ثالث الحرمين ، وهو أحد ثلاثة مساجد تشد إليها الرحال ، قال ﷺ : "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى" [سنن النسائي والدارمي] (٢) ، وعن ميمونة مولاة النبي الكريم ﷺ أنها قالت : يا رسول الله ! أفتنا في بيت المقدس ، فقال : "ائتوه ؛ فصلوا فيه" ، وكانت البلاد إذ ذاك حرباً ؛ "فإن لم تأتوه وتصلوا فيه ؛ فابعثوا بزيت يسرج في قناديله" [سنن أبي داؤد] (٣) ، وفي مسند الأمام أحمد عن ميمونة بنت سعد رضي الله عنها مولاة النبي الكريم ﷺ ، قالت : يا نبي الله ! أفتنا في بيت المقدس ، فقال : "أرض المنشر والمحشر ؛ ائتوه ؛ فصلوا فيه ، فإن صلاة فيه كألف صلاة فيما سواه" ، قالت : أرأيت من لم يطق أن يتحمل إليه ؛ أو يأتيه ، قال : "فليهد إليه زيتاً يسرج فيه ، فإن من أهدى له كان كمن صلى فيه" (٤) ، وعن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أن سليمان بن داؤد لما بني بيت المقدس ؛ سأل الله عزّوجل خلالاً ثلاثةً ؛ سأل الله عزّوجل حكماً يصادف حكمه ؛ فأوتيه وسأل الله عزّوجل ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه ، و سأل الله عزّوجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه "أي لا يحركه" إلا الصلاة فيه أن

(١) سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، وحاشية الإمام السندي ، المجلد الأول ، الجزء الثاني : ص/٣٢ .

(٢) المرجع السابق : ص/٣٧-٣٨ ، وسنن الدارمي : الجزء الأول : ص/٣٣٠ .

(٣) سنن أبي داؤد ، الجزء الأول : ص/١٢٥ ، باب السرج في المساجد .

(٤) مسند الإمام أحمد ، حديث رقم/٢٦٣٤٣ .

يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه" [سنن النسائي] (٥) .

وقد نص القرآن الكريم على بركة بيت المقدس ؛ وما حوله في الآيات رقم/١ من سورة الإسراء ، ورقم/٧١ و/٨١ من سورة الأنبياء ؛ و رقم/٢١ من سورة المائدة ، قال الله تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً * من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى * الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا * إنه هو السميع البصير ﴾ [سورة الإسراء/١] ، فالمسجد الأقصى بورك حوله ، والبركة فيه مضاعفة ، وقد اختص الله تعالى بيت المقدس ؛ وما حوله بالبركات والخيرات الحسية والمعنوية ، ومنشأ هذه البركة يرجع إلى كون هذه الأرض ، مبعث الأنبياء ؛ و مهبط الملائكة ؛ و كونها مرقد الأنبياء ؛ والتي منها سوف يبعثون ، وهي أرض المحشر والمنشر ، و وضع الموازين يوم يقوم الناس لرب العالمين .

كما أن المسجد الأقصى مسرى رسول الله ﷺ ، حيث صلى بالأنبياء ، ومنه عرج إلى السماء ، ورجع رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس كما صعد منه ، ولم يصعد من مكة مباشرة لربط المسجد الحرام بالمسجد الأقصى ، وفي ذلك بيان لمكانة المسجد الأقصى العظيمة في الإسلام ، فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ ، قال : "أتيت بالبراق ؛ وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ؛ ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه ، قال : فركبته حتى أتيت بين المقدس ، قال : فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء ، قال : ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر ؛ وإناء من لبن ؛ فاخترت اللبن ، فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة ، ثم عرج بنا إلى السماء ؛ فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ، قال جبريل : قيل ومن معك ، قال محمد : قيل : وقد بعث إليه ،

(٥) سنن النسائي ، المجلد الأول ، الجزء الثاني : ص/٣٤ .

قال : قد بعث إليه ؛ ففتح لنا ، فإذا أنا بآدم ؛ فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية ؛ فاستفتح جبريل عليه السلام ، فقيل : من أنت ، قال جبريل : قيل ومن معك ، قال محمد : قيل وقد بعث إليه ، قال : قد بعث إليه ؛ ففتح لنا ، فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ؛ ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما فرحبا ؛ ودعوا لي بخير ، ثم عرج بي إلى السماء الثالثة ؛ فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ، قال جبريل : قيل ومن معك ، قال محمد ﷺ : قيل وقد بعث إليه ، قال : قد بعث إليه ؛ ففتح لنا ، فإذا أنا بيوسف عليه السلام إذا هو قد أعطي شطر الحسن ؛ فرحب ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة ؛ فاستفتح جبريل عليه السلام ، قيل : من هذا ، قال جبريل : قيل ومن معك ، قال محمد ؛ قال : وقد بعث إليه ، قال : قد بعث إليه ؛ ففتح لنا ، فإذا أنا بإدريس ؛ فرحب ودعا لي بخير ، قال الله عزّوجل في سورة مريم/٥٧ : ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ ، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة ؛ فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا ، قال جبريل قيل ومن معك ، قال محمد : قيل وقد بعث إليه ، قال : قد بعث إليه ؛ ففتح لنا ؛ فإذا أنا بهارون عليه السلام ؛ فرحب ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة ؛ فاستفتح جبريل عليه السلام ، قيل : من هذا ، قال جبريل : قيل ومن معك ، قال محمد : قيل وقد بعث إليه ، قال : قد بعث إليه ؛ ففتح لنا ؛ فإذا أنا بموسى عليه السلام ؛ فرحب و دعا لي بخير ، ثم عرج إلى السماء السابعة ؛ فاستفتح جبريل ؛ فقيل : من هذا ، قال جبريل : قيل ومن معك ، قال محمد ﷺ : قيل وقد بعث إليه ، قال : قد بعث إليه ؛ ففتح لنا ؛ فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ، ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهي ، وإذا ورقها كآذان الفيلة ، و إذا ثمرها كالقلال ، قال : فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت ؛ فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ؛ فأوحى الله

إلي ما أوحى ؛ ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة ؛ فنزلت إلى موسى عليه السلام ؛ فقال : ما فرض ربك على أمتك ، قلت : خمسين صلاة ، قال : ارجع إلى ربك ؛ فاسأله التخفيف ، فإن أمتك لا يطيقون ذلك ، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم ، قال : فرجعت إلى ربي ، فقلت : يا رب ! خفف على أمتي ؛ فحط عني خمسا ، فرجعت إلى موسى ، فقلت : حط عني خمسا ، قال : إن أمتك لا يطيقون ذلك ؛ فارجع إلى ربك ، فاسأله التخفيف ، قال : فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام ؛ حتى قال : يا محمد ! إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة ؛ فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرا ، ومن هم بسيئة ؛ فلم يعملها لم تكتب شيئا ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة ، قال : فنزلت ؛ حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام ؛ فأخبرته ؛ فقال : ارجع إلى ربك ؛ فاسأله التخفيف ، فقال رسول الله ﷺ : فقلت : قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه" (٦) ، [صحيح مسلم] .

وقد وصل المسلمون إلى القدس أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان ذلك في سنة ست عشرة ربيع الأول ، وكان المتولي لأمر حرب الروم فيها عمرو بن العاص ، فحاصرهم ولما طال على أهلها الحصار رغبوا في الصلح ، على شرط أن يكون المتولي لعقده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فكتب إلى عمر بذلك ، فسار إلى الشام ؛ وفي الجابية جاءته رسل أهل ايلياء "القدس" يطلبون السلام ؛ فسألهم ، ودخل عمر إلى القدس ، ودخل كنيسة القيامة ، وحان وقت الصلاة ، فقال للبترك : أريد الصلاة ؛ فقال : صل موضعك ، فامتنع كيلا يتخذ المسلمون الكنيسة مسجدا ، وقال للبترك : أرني موضعا ابني فيه مسجدا ، فقال على الصخرة ، فأمر عمر ببناء

(٦) صحيح مسلم ؛ كتاب الإيمان ؛ حديث رقم/٢٣٤ .

المسجد ، تلك المعاملة جعلت المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون ، يقول : ما عرف التاريخ فاتحا ؛ أرحم من العرب .

وقد اتفق المؤرخون على أن أول من بنى المسجد الأقصى في الإسلام ؛ هو عمر بن الخطاب ﷺ ، وقد أقامه مسجدا متواضعا ، وصغيرا في الجزء الجنوبي من الحرم القدسي بالقرب من المكان الذي يقال : إن الرسول الأعظم ﷺ قد ربط به البراق ليله الإسراء والمعراج ، وفي سنة/٩٧هـ (٧١٥-٧١٦م) أنشأ الوليد ابن عبد الملك المسجد الأقصى في مكانه الحالي ، ثم تهدم معظمه في زلزال سنة ١٣٠هـ ؛ فأعاد الخليفة المنصور بناءه سنة ١٤٠هـ ، ثم تهدم ثانية ؛ فتم إنشاؤه بأمر الخليفة المهدي سنة ١٦٣هـ ؛ الذي أعطى المسجد صورته وحجمه الحاليين ، واستمر الخلفاء المسلمون أربعة قرون يسوسون فلسطين ، وأهلها بسياسة الرفق ، ويعاملون غير المسلمين باللطف ، ولما حكم السلاجقة الأتراك ، الشام وضعفت سلطة المسلمين ، ادعي النصارى كذبا أن السلطة لا توفر لهم الأمن والأمان ، وأن الحجاج النصارى يهانون ، وأن من الكنائس ما خرب ، فحركت هذه الدعوى نصارى أوربا وسيروا جيوشهم إلى بلادنا الواحد تلو الآخر ، تحت راية الصليب ، والتي سميت بالحروب الصليبية ، ومنح البابا الداخلين في هذه الحروب غفرانا ، و وعد الميتين منهم بالسعادة في الحياة الأبدية ، وتمكن الفرنجة من دخول بيت المقدس ، واحتلال المدينة عنوة ، وارتكبوا فيها من الفظائع ما تقشعر له الأبدان ، وتأباه الضمائر والأديان ، وكانت مذبحة هائلة حيث كانت الخيل تخوض في دماء المسلمين إلى الركبتين ، فشتان ما بين المسلمين الفاتحين عدلا و وفاء ورحمة وأمنا ، و ما عليه الفرنجة والغزاة من وحشية ، وهمجية ، وسفك دماء ، وظهر عماد الدين زنكي في النصف الأول من القرن السادس الهجري الذي حرر منطقة الرها من حكم الفرنجة ، وكان سقوط هذه الإمارة ضربة عنيفة لهم ،

ونذيرا باضمحلال نفوذهم ، وبعد عماد الدين تابع ابنه نور الدين سلسلة الكفاح ، التي بدأها أبوه فخاض معارك ناجحة وجهز ثلاث حملات لإنقاذ مصر من الأخطار ، وتم ذلك بقيادة أسد الدين شيركوه ، وابن أخيه صلاح الدين ، وبعد جهاد مرير لقي وجه ربه ؛ فقام البطل صلاح الدين يكمل رسالته ، وانتقل من نصر إلى نصر حتى كانت معركة حطين عام ٥٨٣ هـ ، وقد استهل القائد المحرر حربه بفتح طبرية ، ثم تابع تقدمه ؛ فانهزم الصليبيون أمامه مجتمعين ، فبكى صلاح الدين فرحا ؛ وسجد شكرا لله ، ولم يمض الوقت حتى فتح بيت المقدس ، ونوه ابن الأثير بأهمية فتحه ؛ فذكر بأن هذه المكرمة من فتح بيت المقدس لم يفعلها بعد عمر بن الخطاب غير صلاح الدين ، وبدأ الحلم يتحقق فقامت دولة إسلامية كبرى شملت الشام واليمن والحجاز وغيرها، وكان صلاح الدين يريد أن يجدد سيرة الفاتحين ، ولكن عاجلته المنية عام ٥٨٩هـ ، وفي النصف الثاني من القرن السابع الهجري ظهر الملك بيبرس الذي أحرز على الصليبين انتصارات رائعة ، ثم تلاه المنصور بن قلاوون ؛ فانتزع المراكز الهامة من الكفرة الغزاة ، وحرر بعد الملك الأشرف ، ولده "عكا" ؛ ولم يبق أمام الفرنجة سوى العودة من حيث أتوا في أواخر القرن السابع الهجري أي بعد ثلاثة قرون من مجيئ أول حملة صليبية إلى الشرق الأوسط .

وسيتحرر المسجد الأقصى إن شاء الله من أيدي الصهاينة طالت به الأيام أم قصرت ، سيعود إلى المسلمين مرة أخرى ، وهذا ما وعدنا الله ورسوله ، يوم يدوي نفير المعركة ، وتنادي المآذن حي على الجهاد ، حينئذ لن ينفع اليهود عجرفتهم وغرورهم ، ولن تفيدهم ترسانة أسلحتهم ، ولا مدنهم المحصنة ؛ ولا خطوط دفاعهم المشيدة ، وسيفوز المسلمون بإحدى الحسنيين ؛ إما النصر ؛ أو الشهادة ، ولم ولن يكون لقرارات الشجب ، ولبيانات الإدانة أي دور يذكر في معركتنا الفاصلة مع اليهود (إن شاء الله تعالى) .

دراسات و أبحاث

هيكل سليمان .. والهيكل المزعوم !

بقلم : الدكتور محمد السيد علي بلاسي
(أكاديمي - خبير دولي - عضو اتحاد الكتاب)

هيكل سليمان :

جاء في الكتاب المقدس بأن داؤد كان يريد أن يبني هيكلا للرب في أورشليم ، ولكن النبي "ناتان" أبلغه – من لدن الرب – بأن يترك هذا المشروع لابنه سليمان (صمويل الثاني/٧) ؛ لماذا ؟ إن داؤد نفسه ليشرح سبب ذلك لابنه سليمان شرحا له دلالته ومغزاه ؛ حتى في العصر الحديث ؛ وليسمع كهنة الصهيونية التوسعية في فلسطين الآن (أخبار الأيام الأول/٢٢) ، "وقال داؤد سليمان : يا بني ، كان في خاطري أن أبني بيتا لاسم الرب إلهي ، فكان إلي كلام الرب قائلا : قد سفكت دما كثيرا ، وقمت بحروب كبيرة ؛ فلن تبني بيتا لاسمي ؛ لأنك سفكت دماء كثيرة أمامي على الأرض ، وها هو ذا ابن يولد لك ، يكون رجل سلم ، أسلمه من جميع أعدائه الذين من حوله ؛ إذ سيكون اسمه سليمان ، وسأعطي سلاما وهدوءا لبني إسرائيل في أيامه ؛ وهو يبني لاسمي بيتا" .

أما مكان البناء : فالإجماع منعقد – بناء على عنعنات شفوية ، يقال : إنها متصلة متواترة – على أنه الهضبة المسطحة التي تتوج جبل "موريا" – المكان الذي وجد فيه إبراهيم قبل سليمان بألف سنة ، الرجل الفلسطيني الأصل "ملكيصدق" ، ملك أورشليم ، يعبد الله العلي ، ويقوم بقرى الضيوف ؛ فيقدم لإبراهيم الخبز والنبيذ ، ثم يباركه "باسم الله العلي" أيضا (١) .

(١) أ.د. حسن ظاظا : القدس : ص/٣٩-٤٠ ، ط/مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، (د.ت) .

ويرجع كثير من الآثاريين ؛ وفي مقدمتهم الآثاري الفرنسي "دي سولسي" في كتابه "تاريخ الفن اليهودي" : أن الهيكل الذي بناه سليمان كان في داخل سور يحيط بكل جبل الهيكل ، بدليل أن الهيكل الذي بناه اليهود بعد عودتهم من السبي البابلي في المكان نفسه ، وبعد سليمان بنحو خمسمائة سنة أخرى ، كان يحيط به سور أيضاً ، وكذلك الهيكل الذي عمره هيرودس بعد ذلك بخمسمائة أخرى ، ثم الحرم الإسلامي الشريف الذي قام أخيراً ، في نفس المنطقة التي كان "ملكيصدق" يدعو فيها باسم الله العلي في زمن إبراهيم ، ويبدو أن السور الذي كان يحيط بمنطقة الهيكل على أيام سليمان ، كان مربعا طول ضلعه مائة وثمانون مترا (فيكون مساحة ما يحيط به السور ؛ نحو ثمانية أفدنة إلا ربعا) ، وبهذه المناسبة يذكر الآثاري الفرنسي "دي سولوس" مقاييس الحرم الإسلامي الشريف في المنطقة نفسها، وفي العصر الحديث كما قاسها هو بنفسه ، وهي : الضلع الشرقي لسور الحرم وطوله ٣٨٤/مترا ، والضلع الجنوبي طوله ٢٢٥/مترا ، ثم يمتد الضلع الغربي بزاوية منفرجة وفي خط مستقيم ، بحيث يكون الضلع الشمالي من السور أطول بكثير من مقابله الجنوبي .

وينبني على ما ذكره "دي سولسي" أن تكون مساحة الحرم الشريف أكبر بكثير من ضعف مساحة جبل الهيكل داخل أسوار سليمان ، أو نحميا ، أو هيرودس .

هناك أيضا أمر يستحق الانتباه ، هو أن الحرم الإسلامي الشريف مستطيل ، واتجاهه من الشمال إلى الجنوب (في اتجاه القبلة بمكة المكرمة) ، أما معبد سليمان ؛ فهو مستطيل لكن اتجاهه من الغرب إلى الشرق (نحو الشمس) وهو الاتجاه العام في المعابد القديمة في بابل أو مصر أو غيرهما من أقطار الشرق الأدنى والأوسط .

إذن فلا يمكن التسليم بسذاجة برأي من يدعون بأن الحرم يقوم

تماما على ما كان يسمي سابقا " هيكل سليمان" ، حتى لو سلمنا أن الهيكل كان في هذا الركن بالذات من الجبل ، و هذا لا دليل عليه إلا العنعنات التي اتخذت في نفوس البعض منزلة مقدسة لتكرارها عبر الأجيال (٢) .

هدم هيكل سليمان :

وقد بقي هذا الهيكل حتى خربه بختنصر ، فمحا أثره محوا تاما في القرن السادس قبل الميلاد ، و ربما دخلت حجارة من أنقاضه في أبنية متأخرة ، ظن بعض الباحثين ، بحسن نية ؛ أو للمغالطة ؛ وتشويه التاريخ ، أنها بقايا من إنجازات سليمان ! (٣) .

ج- الهيكل الثاني :

كان هم العائدين من السبي الذي دام سبعين سنة أن يبسطوا سلطانهم مرة أخرى على فلسطين ، وأن تقوم لهم دولة ، تحت وصاية "قورش" إمبراطور إيران في القرن الخامس قبل الميلاد .

وقد حاولوا جاهدين أن يعيدوا بناء أورشليم ، وأن يبنوا الهيكل الثاني على المخطط نفسه الذي بني عليه الهيكل الأول ، هيكل سليمان ، وانتهى البناء في عهد دارا الأول الفارسي (٤) .

د- هدم الهيكل الثاني :

وهذا الهيكل الثاني أيضاً انتهى أمره بالدمار التام بعد إقامته بخمسة قرون على يد "تيتوس" الروماني ، ومحاه من الوجود سنة ٧٠/ميلادية ، وحائط المبكي كان على الأرجح جزءاً من جداره الغربي ، واليهود يحرصون على تسميته حتى الآن "الجدار الغربي" ، ويذهبون إليه يتبركون به ، و يكون عنده على مجدهم الضائع طالبين الرحمة من الله ؛ والمغفرة لذنوبهم ؛

(٢) المرجع السابق : ص/٤٣ . (٣) نفس المرجع : ص/٤٥-٤٦ .
(٤) المرجع السابق : ص/٤٦ .

وذنوب أسلافهم ، التي بسببها دمر الله ملكهم مرتين : على يد بختنصر البابلي ، وتيتوس الروماني (٥) .

الهيكل الثالث : (الهيكل المزعوم) :

لإسرائيل أسلوب لا يعوزه الدهاء في السياسة التي تنتهجها في مشكلة الشرق الأوسط ، و هو أسلوب تحاول به أن يطول بقاؤها بفلسطين ، في عالم يتميز بأن عمر الاستعمار فيه قصير ، وحياته في البلاد التي يتشبث بها رهيبة مرة لا راحة فيها ولا اطمئنان .

وأسلوبها هذا مبني على "التعقيد" ، والانحراف بالمسار عن الطريق الواضحة المستقيمة بإثارة مشكلات جانبية مفاجئة ، من الأفضل لدى قادة الصهيونية ألا تربط بفن تنسيق العلاقات الدولية ، والدخول إليها من أبوابها الواسعة ، بقدر ما تربط بغيبيات مظلمة ، و أساطير متنكرة في ثياب التاريخ ، و"ميتافيزيقيات" غير إنسانية ، إن لم تنجح في خداع العالم بصورة نهائية ؛ فإنها على الأقل ، تجرّه في دوامتها السحرية مدة من الزمن تطور أو تقصر حسب الظروف (٦) .

وكهنة السياسة الصهيونية اليوم يجعلون من "حائط المبكي" (مسمار جحا) يتخذونه منطلقاً لكل دعوة عنصرية جديدة ؛ ولذلك زعم بعضهم أنه بقية سور داؤد ، وقال آخرون : إنه جزء من حائط سليمان ، ونسبه البعض إلى المكابيين أو هيرودس (٧) .

واليهود يقصدون من وراء ذلك : هدم المسجد الأقصى حتى يقيموا على أنقاضه الهيكل المزعوم (الهيكل الثالث) ؛ حيث يزعمون أن هيكل سليمان كان على الموقع الذي يقوم عليه المسجد الأقصى المبارك ، وفيه الصخرة المشرفة ؛ وجميع ما يحيط بهما من الحرم القدسي الشريف ؟!!

(٥) نفس المرجع . (٦) أ.د. حسن ظاظا : القدس : ص/٨ . (٧) المرجع السابق : ص/٣٣ .

و- فرق بين الهيكلين (هيكل سليمان ، والهيكل المزعوم) :

هناك أدلة جوهرية ملموسة تدحض ما يدعيه اليهود من أن المسجد الأقصى قام على هيكل سليمان ، وأن الجدار الغربي من الهيكل (حائط المبكي المزعوم) قام عليه الجدار الغربي للمسجد الأقصى !

هذه الأدلة يمكن أن نجملها فيما يلي ؛ وبإيجاز :

١- بعد مضي أكثر من ثلاث وعشرين سنة من الحفريات التي قام بها اليهود منذ عام/١٩٦٧م ؛ فإن الإسرائيليين لم يجدوا أثرا واحدا يؤيد أطماعهم المعروفة ؛ و المعلنة ضد الحرم القدسي الشريف ، لقد كانت الآثار التي تم اكتشافها ؛ وحتى يومنا هذا إسلامية في معظمها ، بما في ذلك قصر أموي منيف شاسع يحاذي الجدار الجنوبي للمسجد الأقصى المبارك ، وقد وجدت بعض الآثار الرومانية ؛ و بعض الآثار التي تعود إلى العهد الصليبي ، ولكن لم يعثر على أي أثر يهودي مما يدعون !

يستطيع اليهود أن يزوروا التاريخ في كتبهم وأساطيرهم القديمة ؛ ولكن أنى لهم أن يخترعوا وجودا إسرائيليا من خلال حفرياتهم المتواصلة العميقة تحت القدس العربية القديمة التي يعود تاريخها العمراني المتراكم إلى ألف وأربعمائة عام ، والتي شيدها أهل القدس ؛ وفلسطين ؛ والعالم العربي الإسلامي (٨) .

٢- إنه على الرغم من انحياز بريطانيا لليهود ، فإن القضاء البريطاني في سنة ١٩٣٠م - أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين - ، حكم بعدم صحة ما ادعاه اليهود من أن حائط المبكي هو الحائط الغربي

(٨) د/حازم زكي نسيبة : إسلامية القدس في مجابهة المطامع الصهيونية المعاصرة : ص/١٠ (دراسة منشورة في جريدة "العالم الإسلامي" : العدد/١٢٤٣ ، ١٠/جمادى الثانية ١٤١٢هـ) .

للمسجد الأقصى ، وزعمهم بأن هذا الحائط ؛ هو أحد أسوار هيكل سليمان .

صدر هذا الحكم بعد شهادة لجنة من خمسة قضاة أوربيين شكلتها بريطانيا ، وبنوا حكمهم بناء على شهادات اليهود والمسيحيين والمسلمين في المنطقة ؛ والأدلة التاريخية الثابتة (٩) .

٣- ما نقلناه - سلفا - عن الآثاري الفرنسي "دي سولسي" من أن هناك اختلافا بين هيكل سليمان ؛ والحرم ؛ والقدسي الشريف ، سواء من حيث المساحة أو الاتجاه !

مما سبق يتضح : أن حائط المبكي المزعوم ليس حائط المبكي كما يدعي اليهود زيفا ، وإنما هو حائط البراق ، أو الحائط الغربي للمسجد الأقصى ، وهو جزء لا يتجزأ من المسجد الأقصى .

وجدلا وعلى افتراض أن المسجد الأقصى في جهة من جهاته بني على هيكل سليمان - كما يدعي اليهود - ! فأين هيكل سليمان الآن بعد كل ما وضحناه - سلفا - من عملية هدم هذا الهيكل ، وبناء هياكل عليه أكثر من مرة على فترات متباعدة ؟!!

من هنا ؛ يجب أن نعلم - يقينا - أن القضية ليست قضية الحائط كما قال ابن غوريون : لا قيمة لإسرائيل بدون القدس ، ولا قيمة للقدس بدون الهيكل !

إنما اليهود يريدون هدم المسجد الأقصى ؛ حتى يقيموا على أنقاضه الهيكل المزعوم .(١٠) !

(٩) أ.د. أحمد شلبي : القدس .. أي مستقبل ينتظرها ؟ ص/٦ (مقابلة منشورة في جريدة العالم الإسلامي : العدد/١٤٥٦ ، ٣/محرم الحرام ١٤١٧هـ) .

(١٠) من كلمة للرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ألقاها نيابة عنه جمال الصوراني في ندوة : "أمن وقدسية المسجد الأقصى" في القاهرة صبيحة يوم ١٠/جمادى الأولى ١٤٠٩هـ، انظر مجلة : "أرض الإسراء" : العدد/١٣١ ، ذي القعدة ١٤٠٩هـ : ص/١٤ وما بعدها .

وسائل الإعلام الحديثة
وإمكانية الاستفادة منها في الدعوة إلى الله

[٢]

بقلم : الأستاذ محمد نعمة الله محمد إدريس الندوي

المبحث الثالث : وجوب الدعوة إلى الله ونوعه :

الأمة الإسلامية مكلفة بتبليغ هذا الدين :

اتضح لنا بجلاء مما أسلفنا القول أن البشرية في حاجة ماسة و مستمرة إلى الدعوة إلى دين الله الخالد ، دين الإسلام ، لتسعد في الدارين ؛ إذا تمسكت بمبادئه ؛ واهتدت بهديه ، ذلك أن النبي الكريم ﷺ كان مبعوثا رحمة للعالمين ، وكانت رسالته لجميع الناس دون تفريق بين عربهم وعجمهم ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (١٨) ، كما قال عزوجل : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ (١٩) .

فلابد إذن أن تكون الدعوة إلى هذا الدين دعوة باقية بقاء الناس على صفحة الأرض ، بعد انتهاء مهمة رسولها عليه الصلاة والسلام وانتقاله إلى الرفيق الأعلى ، لأنه أرحم بعباده من دون أن يتركهم بدون هاد يهديهم ، وداع للحق يدعوهم إليه ، فلا تكليف من غير إعلام ؛ و لا ثواب ؛ ولا عقاب من غير علم بالرسالة ، ودعوة إليها ؛ قياسا على قوله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين * حتى نبعث رسولا ﴾ (٢٠) .

(١٨) سورة الأنبياء ، الآية/١٠٧ .
(١٩) سورة سبأ ، الآية/٢٨ .
(٢٠) سورة الإسراء ، الآية/١٥ .

ومن هنا اختار الله سبحانه وتعالى أمة رسوله ﷺ ، و أوجب عليه تبليغ الدعوة إلى الناس كافة ، وأصبحت شريكة مع رسولها عليه الصلاة والسلام في شرف الدعوة إلى الله ، ومكلفة بما كلف به عليه الصلاة والسلام ، وذلك أولاً ، بدليل تلك الآيات التي تخاطب النبي الكريم ﷺ بتبليغ الدعوة ، مثل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول ! بلغ ما أنزل إليك من ربك * وإن لم تفعل * فما بلغت رسالته ﴾ (٢١) ، و قوله سبحانه : ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة * والموعظة الحسنة * وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ (٢٢) ، وقوله جلّ وعلا : ﴿ يا أيها المدثر * قم فأنذر ﴾ (٢٣) ، وما إليها فالخطاب الموجه إلى النبي الكريم ﷺ في هذه الآيات يشمل أمته أيضاً ، لأن الأصل في خطاب الله لرسوله ﷺ دخول أمته فيه – كما هو مقرر في محله لدى الأصوليين – إلا ما دل على التخصيص ؛ وليس في هذه الآيات ما يدل على التخصيص (٢٤) .

وثانياً ، وردت الآيات البينات الكثيرة تصرح بهذا التكليف وحيازة الشرف ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ : هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة * أنا * ومن اتبعني * سبحان الله * وما أنا من المشركين ﴾ (٢٥) ، فدلّت الآية الكريمة أن الإيمان وحده لا يكفي في اتباع النبي الكريم ﷺ ، بل لابد لكمال الاتباع الدعوة إلى الله ؛ قال تبارك سبحانه و تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس * تأمرون بالمعروف * و تنهون عن المنكر * وتؤمنون

(٢١) سورة المائدة ، الآية/٦٧ .
(٢٢) سورة النحل ، الآية/١٢٥ .
(٢٣) سورة المدثر ، الآيتان/١-٢ .
(٢٤) راجع : الدعوة إلى الله ؛ للدكتور محمد بن سيدي بن الحبيب : ص/٢٩ ، وأصول الدعوة ؛ للدكتور عبد الكريم زيدان : ص/٢٩٨ .
(٢٥) سورة يوسف ، الآية/١٠٨ .

بالله ﴾ (٢٦) ، وهنا ، في هذه الآية ربط الله سبحانه وتعالى خيرية هذه الأمة بعد الإيمان بالله بوظيفة الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ؛ و أول ما يدخل في هذه الوظيفة ، الدعوة إلى الله وحده ، والبراءة من الشرك بأنواعه ، بل إن القرآن الكريم جعل من صفات المؤمنين الدعوة إلى الله بخلاف المنافقين الذين يعكسون الأمر ؛ قال تعالى : ﴿ المنافقون والمنافقات * بعضهم من بعض * يأمرون بالمنكر * وينهون عن المعروف ﴾ (٢٧) ، ثم قال تعالى بعد ذلك : ﴿ المؤمنون والمؤمنات * بعضهم أولياء بعض * يأمرون بالمعروف * وينهون عن المنكر ﴾ (٢٨) ، قال القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة : "فجعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقا بين المؤمنين والمنافقين ، فدل على أن أخص أوصاف المؤمنين ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورأسها الدعاء إلى لإسلام" (٢٩) .

ونستطيع أن نستخلص مما ذكرنا أن الدعوة إلى الله مسئولية واجبة على الأمة الإسلامية ، و هي مكلفة بتبليغها إلى المدعوين في كل زمان ومكان ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

نوع الوجوب :

اتفق أهل العلم على وجوب الدعوة الإسلامية ، وكان ذلك الاتفاق إجماعا انعقد في عصر الصحابة ؛ ثم عصر التابعين ، والإجماع لا ينتقض إذا تخاذل المسلمون عنه ، وقعدوا عنه ؛ فلم يقوموا بحقه (٣٠) .

---

(٢٦) سورة آل عمران ، الآية/١١٠ .

(٢٧) سورة التوبة ، الآية/٦٧ . (٢٨) سورة التوبة ، الآية/٧١ .

(٢٩) تفسير القرطبي .

(٣٠) الدعوة إلى الإسلام ؛ للإمام محمد أبو زهرة : ص/٣٤ ، دار الفكر العربي ؛ دمشق .

لكن العلماء بعد اتفاقهم على الوجوب اختلفوا في حكمة أهو فرض عين أم كفاية ، فقال فريق : إن الدعوة إلى الله فرض عين على كل مكلف من أفراد الأمة سواء كان ذكراً أو أنثى ؛ فيقوم بهذا الواجب حسب قدرته وعلمه في التوجيه والإرشاد ، وقال الآخرون : إنها فرض كفاية ، يجب على العلماء فقط ؛ لا على الجميع .

وسبب اختلافهم يرجع إلى كلمة "من" في قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير * ويأمرون بالمعروف * وينهون عن المنكر * وأولئك هم المفلحون ﴾ (٣١) ، فأصحاب القول الأول : الذين يذهبون إلى أن واجب الدعوة يلزم جميع الأفراد المكلفين من الأمة ، قالوا : إن "من" بيانية ، والمعنى لتكونوا كلكم داعين إلى الخير ، وآمرين بالمعروف ؛ وناهين عن المنكر ، ومن القائلين به الإمام الرازي في تفسيره ، ويستدل عليه بدليلين يوردهما بصدد تفسير الآية ، فيقول : الأول أن الله أوجب الأمر بالمعروف ؛ والنهي عن المنكر على كل الأمة في قوله : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس * تأمرون بالمعروف * وتنهون عن المنكر ﴾ (٣٢) .

الثاني : هو أنه لا مكلف إلا ويجب عليه الأمر بالمعروف ؛ والنهي عن المنكر إما بيده أو بلسانه أو بقلبه (٣٣) ، ويجب على كل واحد دفع الضرر عن النفس ، إذا ثبت هذا ، فنقول : معنى الآية كونوا أمة دعاة إلى الخير ، آمرين بالمعروف ، وناهين عن المنكر (٣٤) .

---

(٣١) سورة آل عمران ، الآية/١٠٤ . (٣٢) سورة آل عمران ، الآية/١١٠ .

(٣٣) إشارة إلى حديث صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : من رأى منكم منكراً ؛ فليغيره بيده ، فإن لم يستطع ؛ فبلسانه ، فإن لم يستطع ؛ فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان .

(٣٤) في أصول الدعوة ؛ للدكتور عبد الكريم زيدان : ص/٣٠١ .

والذي يؤيد هذا القول أيضاً ، هو قوله تعالى في آخر الآية المعنية : ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ بضمير القصر أي أن الفلاح مقصور عليهم دون غيرهم ، وذلك أنسب أن يكون وصفاً للأمة كلها ، قاله الإمام محمد أبو زهرة (٣٥) .

أما الفريق الثاني ، فيقولون : إن "من" تبعيضية ، وعلى هذا الأساس يكون المعنى : "ليكن بعضكم متخصصاً في الدعوة إلى الخير ؛ والأمر بالمعروف ؛ والنهي عن المنكر ، و هذا المعنى متفق في مؤداة مع قوله تعالى : ﴿ و ما كان المؤمنون لينفروا كافة * فلو لا نفر من كل فرقة * طائفة منهم * ليتفقهوا في الدين * ولينذروا قومهم * إذا رجعوا إليهم * لعلهم يحذرون ﴾ (٣٦) ، ونقل الرازي قولهم في تفسيره ، فقالوا : "هذا التكليف مختص بالعلماء لأن الدعوة إلى الخير مشروطة بالعلم بالخير و بالمعروف والمنكر، فثبت أن هذا التكليف متوجه إلى العلماء لا إلى الجهال ؛ والعلماء بعض الأمة" (٣٧) ، ومن أصحاب هذا القول القرطبي رحمه الله ، فقال في تفسير الآية : و"من" في قوله تعالى : "منكم" للتبعيض ، ومعناه : أن الآمرين يجب أن يكونوا علماء ، وليس كل الناس علماء ؛ وقيل : لبيان الجنس ، والمعنى لتكونوا كلكم كذلك ، قلت : القول الأول أصح ، فإنه يدل على أن الأمر بالمعروف ؛ والنهي عن المنكر فرض على الكفاية ، و عينهم الله تعالى لقوله : ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض * أقاموا الصلاة ﴾ ، وليس كل الناس مكنوا (٣٨) .

---

(٣٥) الدعوة إلى الإسلام ؛ للإمام محمد أبو زهرة : ص/٤٢ .

(٣٦) سورة التوبة ، الآية/١٢٢ .

(٣٧) في أصول الدعوة ؛ للدكتور عبد الكريم زيدان : ص/٣٠٢ .

(٣٨) قال القرطبي لدى تفسيره الآية المعنية من سورة آل عمران .

الجمع بين الوجوبين : العيني والكفائي معا :

وأرى أن الجمع بين القولين ممكن ، لأن النصوص الدالة على حكم الدعوة تثبت الوجوبين : العيني والكفائي ، وإعمال الدليلين أولى من إلغاء أحدهما ، والجمع واجب بين الأدلة إذا أمكن (٣٩) ، وعلى هذا فالدعوة إلى الله واجب كفائي وعيني معا ، ومعناه أن على الأمة واجبين .

أحدهما : أن كل فرد من أفراد الأمة مطالب بالدعوة بالقدر الذي يعلمه ، وليس العلم شيئا واحدا لا يتبعض ولا يتجزأ ، وإنما هو قابل للتجزئة ، وكل من عرف شيئا من معاني الإسلام ؛ فهو عالم بهذا الشئ ؛ وعليه تبليغه إلى من يجهله ، ولا ريب أن الغالب من عامة المسلمين لا يجهلون الشهادة ، والصلاة ، والصيام ، والحج ، والزكاة ؛ من فرائض الإسلام ، ولا معنى الإسلام جملة ، وذلك كاف في القيام بالدعوة على هذا النحو ، فعليه أن يبلغه ما علمه ، لذلك جاء في الحديث الشريف ؛ الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي الكريم ﷺ ، قال : "ليبلغ العلم الشاهد الغائب" (٤٠) ، ويدخل في معنى الشاهد كل مسلم علم من أمر الإسلام شيئا (٤١) ، أما ما يجهله فلا يكلف بتبليغه ؛ ولا تعليمه شيئا ، لأن فاقد الشئ لا يعطيه ، وهذا هو معنى الوجوب العيني .

ثانيهما : أن يقوم كل من يقدر من الأمة ، وخاصة أولى الأمر منهم بإعداد جماعة متخصصة للدعوة ، تكون أعلم بالكتاب والسنة ، وتفاصيل الأحكام وجزئيات الأمور ، وأقدر كلاما وبيانا ، وأكثر حكمة وإدراكا ، وأعرف بمخاطبة النفوس وخباياها ، ويعاونهم الجميع حسب حدودهم

---

(٣٩) الدعوة إلى الله ؛ للدكتور محمد بن سيدي بن الحبيب : ص/٣٨ .

(٤٠) رواه البخاري في كتاب العلم ؛ باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب .

(٤١) أصول الدعوة ؛ للدكتور عبد الكريم زيدان : ص/٣٠٠ .

وطاقاتهم ، ليتحقق المقصود من قيامهم ؛ و هو إقامة دين الله ؛ و نشر دعوته ؛ ويفيد هذا المعنى ما قاله الإمام ابن كثير في تفسير الآية : ﴿ و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير * ويأمرون بالمعروف * وينهون عن المنكر * وأولئك هم المفلحون ﴾ (٤٢) ، إذ يقول : "المقصود من الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ، وإن كان واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه" (٤٣) ، فإن لم يقم المسلمون بتخصيص هذه الجماعة المتصدية للدعوة ؛ وإقامتها للقيام بالواجب ، استوى الجميع في الإثم ، والمتأهل للدعوة وغيره ؛ وهذا هو معنى الواجب الكفائي (٤٤) .

وبذلك قد تحقق الجمع بين فرض العين وفرض الكفاية معا ، إذن ينبغي أن ينهض اتباع محمد ﷺ بواجب الدعوة إلى دين الله الحق في كل عصر و حين ، مادام الإسلام دينا عاما ؛ و دينا خالدا ، يخاطب البشر أجمعين ، ويكفل لهم الخير ؛ والعدل ؛ والحرية ؛ والمساواة ؛ والصلاح ؛ والفلاح ، والسعادة في الدنيا وفي الآخرة ؛ وذلك بالتوسل بكل الوسائل المشروعة المتاحة للدعوة ، وأتحدث عنها في الفصل القادم بإذن الله .

الفصل الثاني : وسائل الإعلام والدعوة :

المبحث الأول : ما هو الإعلام ؟

قبل أن أخوض في الحديث عن وسائل الإعلام ، و ارتباطها بالدعوة الإسلامية منذ ظهورها ارتباطا وثيقا لخدمتها وتبليغها ، لا بد أن ألقي نظرة

(٤٢) سورة آل عمران ، الآية/١٠٤ .

(٤٣) ابن كثير لدى تفسير الآية .

(٤٤) راجع : أصول الدعوة ؛ للدكتور عبد الكريم زيدان : ص/٣٠٣-٣٠٤ ، والدعوة إلى الإسلام ؛ للإمام محمد أبو زهرة : ص/٤٣ ، والدعوة إلى الله ؛ للدكتور محمد بن سيدي : ص/٣٥ و ص/٤١ .

سريعة على الجذور التاريخية للإعلام وتطوره إلى علم قائم بذاته ، وتعريفه لغة واصطلاحا .

فالإعلام وإن كان علما حديثا ، له نظرياته ونظمه ، وارتقى إلى مستوى العلوم الأخرى كالطب والهندسة إلا أنه عايش المجتمعات البشرية منذ نشأة الخليقة ، باعتباره أداة اتصال وتعارف وتعاون ؛ قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس ! إنا خلقناكم من ذكر وأنثى * وجعلناكم شعوبا وقبائل * لتعارفوا * إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (٤٥) .

والإنسان بطبيعته ميال إلى الرغبة في الاتصال بأمثاله من ذوي البشر ، ولذا يقال له : "حيوان اجتماعي" ؛ وهذه الرغبة تعتبر من المطالب الأساسية التي تضمن بقاء الجنس البشري ؛ وديمومة الحياة .

و لا يمكن تحقيق المطالب والحاجات ، وتبادل الخبرات والمعلومات ، وإيجاد التفاهم والتعاون بين بني البشر ، دون أن يتم الاتصال فيما بينهم ، فالإعلام ظاهرة اجتماعية ، شقت طريقها إلى كل البيئات والعصور ؛ وعرفت في كل مرحلة من مراحل التاريخ الإنساني ، ابتداء من المجتمعات البدائية ؛ وانتهاء إلى المجتمعات الحديثة المعاصرة (٤٦) .

وبدأ الاهتمام بالإعلام علما مستقلا بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٤م) ؛ وكان من أهم أسبابه تلك الحملات الدعائية التي قامت بها الدول المتحاربة ، للدعوة إلى مبادئها وأفكارها ونظمها ، و الهجوم

(٤٥) سورة الحجرات ، الآية/١٣ .

(٤٦) انظر للتفصيل : الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ؛ للدكتور محي الدين عبد الحليم : ص/١١ وما بعدها ، ط/٢ ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ، دار الرفاعي بالرياض ، ومدخل إلى الإعلام ؛ للدكتور سيد محمد الساداتي : ص/٢٥ ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع بالرياض .

على الدول المعادية ؛ والرد عليها عبر موجات الأثير ، فإذاعة برلين كانت تمثل دول المحور ، وإذاعة لندن دول الحلفاء ، أما إذاعة ماسكو فكانت تطرح الفكر الماركسي ؛ وتساند دول الحلفاء ؛ واستطاع العلماء استغلال الحربين العالميتين لدراسة أساليب الاتصال ، وفنون التأثير في الجماهير وقام هذا العلم ، وتقدم بسرعة مذهلة من جراء التجارب التي أجرته على الجنود المدنيين على حد سواء (٤٧) .

تعريف الإعلام :

لغة : الإعلام من حيث اللغة مصدر "أعلم" ؛ وهو فعل رباعي ماض ؛ ومعناه أخبره لغيره ، فيقال : "أعلمته الخبر" ؛ والثلاثي منه "علم" عرف ، فيقال : "علمته" أي عرفته (٤٨) ، ويوضح صاحب القاموس المحيط الفرق بين علم وأعلم ، فيقول : "علمه كسمعه علما – بالكسر – عرفه ، و علم هو في نفسه ... و رجل عالم و عليم ج/علماء وعلام كجهال ، و علمه العلم تعليما ؛ و علاما – ككذاب – و أعلمه إياه ؛ فتعلمه (٤٩) .

فالإعلام والتعليم لغة يشتركان في معنى واحد ، وهو : نقل المعارف والمعلومات إلى شخص آخر ، ولكنها يختلفان من حيث كون معنى التكرير والتكثير في التعليم ، بينما لا يوجدان في الإعلام ، قال الراغب الأصفهاني في كتابه "المفردات في غريب القرآن" : أعلمته وعلمته في الأصل واحد ، إلا أن الإعلام اختص بما كان بأخبار سريع ، والتعليم اختص بما يكون

(٤٧) وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة لمحمد موفق الغلاييني : ص/٣٨-٣٩ ، دار المنارة ، جدة ، ط/١ ، سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

(٤٨) المصباح المنير ؛ للفيومي .

(٤٩) ترتيب القاموس المحيط للفيروزآبادي – المرتب الطاهر الزاوي .

بتكرير وتكثير ؛ حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم (٥٠) .

اصطلاحا : تعددت التعريفات الاصطلاحية للإعلام وتنوعت لدى خبراء الإعلام ، ولم يجمعوا على تعريف جامع مانع ، وذلك أنه من العلوم الإنسانية التي تتسع فيها دائرة الاجتهاد ، إلا أن معظمهم يفضلون ذكر التعريف الذي جاء به العالم الألماني "أوتوجروت" ؛ وهو يعرف الإعلام ، بقوله : هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها ؛ واتجاهات النفسية في نفس الوقت (٥١) ، أي أن الإعلام لابد أن يكون صادقا ، مجردا من الميول ؛ والأهواء الشخصية ، قائما على أساس من التجربة الصادقة ، متجاوبا مع الجمهور الذي يخاطبه ؛ حيث يعبر بصدق و أمانة عن تراثه ، وتفكيره ، وثقافاته ، وعاداته ، وتقاليده ، كأنهم يرون هذا التعريف أقرب إلى الدقة والشمول لمعنى الإعلام مع كونه موجزا .

ونلمس آثار هذا التعريف المذكور واضحا في كثير من تعريفات العلماء المعنيين بالإعلام ، فعرفه الدكتور عبد اللطيف حمزة ؛ و إبراهيم إمام قائلين : "الإعلام هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة ؛ و المعلومات السليمة ؛ والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين "رأي صائب" ، في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات ؛ بحيث يعبر هذا الرأي تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير ، واتجاهاتهم وميولهم (٥٢) .

(٥٠) قرص الكمبيوتر (CD) بعنوان : "القرآن الكريم تلاوة وتفسيرا" من إصدار "التراث" ؛ سنة ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .

(٥١) انظر : مدخل إلى الإعلام ؛ للدكتور سيد محمد الساداتي الشنقيطي : ص/٧ ، و وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة لمحمد موفق الغلاييني : ص/٤٣ ، والإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ؛ للدكتور محي الدين عبد الحليم : ص/١٩ .

(٥٢) وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة ؛ لمحمد موفق الغلاييني : ص/٤٣ .

ويقول الدكتور محي الدين عبد الحليم : "الإعـــلام هـــو تزويـــد الجماهير بأكبر قدر ممكن من المعلومات الصحيحة ، والحقائق الواضحة الـتي يمكن التثبت من صحتها أو دقتها ، بالنسبة للمصدر الذي تنبـــع منـــه ، أو تنتسب إليه (٥٣) .

واقع الإعلام يخالف الهدف :

تبين لنا من التعريفات السابقة أن المقصود بالإعلام ، هـــو إقنـــاع الجمهور واستمالتهم عن طريق الالـــتزام بمعايـــير الصـــدق ؛ والأمانـــة ؛ والوضوح ؛ والصراحة في الرسالة الإعلامية ، لكن الواقع الإعلامي الحـــالي يناقضه وينفيه ، إذ يخلو في غالب الأحوال من دعامته الأساســـية ؛ وهـــي الصدق ؛ فيتم تشويه الحقائق ، وتزييف المعلومات ، وتحريـــف الأخبـــار ، وتضليل الآراء والأفكار للوصول إلى أغراض معينة محددة ســـواء كـــانت سياسية ، أو اقتصادية ، أو اجتماعية ، أو عســـكرية ، فـــأصبح الإعـــلام المعاصر متسما بنفس سمات الدعاية بمعناها السيئ (٥٤) .

حاجة الإعلام الإسلامي :

وهنا تبرز أهمية الدعوة إلى الإعلام الإسلامي الذي يعتمد أساســـا على عامل الصدق ، ولا يمكن أن ينفك عنه أبدا ، لأن الإسلام نفسه ديـــن الحق ، ولا يأمر أتباعه إلا باتباع الحق ؛ قال الله تعالى : ﴿ و بالحق أنزلناه *

(٥٣) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ؛ للدكتور محي الدين عبد الحليم : ص/١٩.

(٥٤) كانت الدعاية فيما مضى مرادفة لكلمة الدعوة ، لأن النبي الكريم ﷺ استعملها بهذا المعنى في كتابه إلى هرقل عظيم الروم ، فجاء فيه : "فإني أدعوك بدعاية الإســـلام ، أسلم تسلم" (جزء من حديث رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير) ، وقد طرأ علـــى مفهوم الدعاية تغيير كبير من حيث اعتمادها على الأساليب الملتوية في أوائل القـــرن الماضي ، وبالتقريب منذ أن ظهرت المبادئ الشيوعية والفاشية والنازية .

وبالحق نزل ﴾ (٥٥) .

عناصر العملية الإعلامية :

ولكي يتضح مفهوم الإعلام في الأذهان تماما ، يلزم ذكـــر تلـــك العناصر الرئيسة التي تتكون منها العملية الإعلامية ، وهي كما يلي :

١- المرسل سواء كان خطيبا ، أو مذيعا ، أو داعية ، أو كاتبـــا ، أو غير ذلك .

٢- المرسل إليه سواء كان فردا ، أو جماعة ، أو شعبا .

٣- الرسالة أي الموضوع الذي يتم إرساله ، ويكون عادة عبـــارة عن مفاهيم ، أو مشاعر ، أو معلومات ، أو آراء ، أو أخبار ، أو مجموعـــة هذه وتلك ، أو غير ذلك .

٤- الوسيلة أي أداة نقل الرسالة ، أيا كانت هذه الوســـيلة مـــن وسائل الإعلام ، سواء كانت مقروءة أو مسموعة أو مرئية .

٥- الاستجابة ويقصد بها التأثير (٥٦) .

[يتبع]

(٥٥) سورة الإسراء/١٠٥ - للتوسع في الموضوع ، راجع : وسائل الإعلام وأثرهـــا في وحدة الأمة ؛ لمحمد موفق الغلاييني : ص/٣٧-٣٨ ، و ص/١٠٤-١٠٥ .

(٥٦) انظر : مدخل على الإعلام ؛ للدكتور سيد محمد الســـاداتي : ص/١٥-١٦ ، والإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ؛ للدكتور محي الدين عبد الحليم : ص/٢٤ .

في روضة الشعر والأدب :

المسجد البابري

بين حلو ذكرياته ومر عتابه

بقلم : الدكتور عدنان علي رضا النحوي
(الرياض)

الذكريات تموج بين رحابه
و تعيد في الآفاق مر عتابه
ونسائم التاريخ في ساحاته
و ندى أزاهره على محرابه
و ترى السحاب يحوطه والنور ما
ج خلاله كالتاج فوق قبابه
فتزينت تلك الربا بوروده
وتعطرت من ساحه وسحابه
و على مصلاه يموج النور من
ذكر ترددد أو تقي أنجابه
وقوافل الإيمان تزحف نحوه
ملء الزمان تشد من أسبابه
تمضي القرون تشيد من أمجاده
، و تمد من آماله و وثابه
و نداؤه العلوي منطلق يرد
د للدنا آيا وعز خطابه
ورؤى من العبق الغني تضمه
و تظل تسكب من غني ملابه
و تضمه وجدا عليه لما ترى
في الأفق من كيد و بين شعابه

وتضمه شوقاً وتحنو فوقه
فزعاً وكيدُ المجرمين ببابه

* * *

المسْجدُ الزّاهي على تاريخِهِ
تقوى و إحسانٌ ويُمْنُ رِغَابِه
البابريُّ ! فيا لعزّة مَسْجدٍ
يَزْهو بِعَزّة أهله وصِحَابِهِ
يا "بابَر" الإسلام إخُضْتَ ملاحماً
لله تظهر دينه بكتابه
لله درُّك يا "ظهير الدين" هـ
ذى الهند دانت كُلّها تغنى بِهِ
فملأتَ أرض الهندِ من نور الهُدى
وحَطمْتَ من شِركٍ ومِن أنصابِهِ
ورفعتَ للرّحمن في ساحاته
قِمَمَ الهُدى عادتْ بِصَفْوِ لُبَابِهِ
وبَسَطت للإنسان عَدل رسالةٍ
أمناً يَفيض على الورى برطابِهِ
يجني بدنياه حَلاَل معاشه
ويَفوزُ بالأُخرى بِحُسنِ ثوابِهِ
و أزَحْتَ عنه ظلامَهُ بمنائر
لألأءة تزوي كثيف حِجابِهِ
لتمدَّ بالإسْلامِ بَردَ ظِلاله
ونَداه بَين سُهوله وهِضَابِهِ
فكسا الروابي كُلَّها بوُرُوده
هل كانَ أحلى من غَنِيِّ إهابِهِ ؟!
ما بَين يا قوت وبَين زُمُرُّد
ولآلىء ألقَت بكلّ قِصابِهِ

أغلى جواهره يقين رسالة
وجلال توحيد وعز طلابه

* * *

حتى إذا وهنت عزائم أمة
عن أمرها وغفت على أعتابه
وثب الذئاب على الربوع وأطلقوا
بالمكر من شيع ومن أحزابه
وثب الذئاب وكل ذئب دونه
متوثب بعوائه و بنابه
الإنجليز ! ومن سواهم مفسد
في الأرض يطلق من عواء ذئابه
المجرمون جميعهم أخذوا منا
هج مكره وتجرعوا من صابه
و فحيح هاتيك الأفاعي منهم
سم يفور على شديد عذابه

* * *

أسفا على الهندوس كيف تنكروا
لسماحة الإسلام أو لرغابه
لم يعرفوا معنى الأمان بغيره
أبدا ولا ذاقوا الأسى برحابه
ونسوا سماحة كفه وعطائه
ووفاء ميثاق و صدق خطابه
ومضوا إلى خصم ألد مراوغ
ليضلهم منه بريق سرابه
سقطوا على شرك يحوك حباله
خصم بمكر خداعه و كذابه

و تواثبوا لجريمة مطوية
حقداً تفجّر في سوادِ عُبابهِ

* * *

المجرمون على الزّمان عصابةٌ
للشرّ تجمَعُ من هوى أوْشابهِ
وهَوىَ العَبيدِ عصابةٌ ركعتْ إلى
أصْنامهِ و جَثت إلى أربابهِ
ألقوا بآلات الدّمَارِ و أوعبُوا
بجُموعِهم لِدَماره وخَرابهِ
المسجدُ المجلوُّ في تاريخهِ
يَهوي وتَهوي أُمَةَ بتُرابهِ
والمسلمون هوى يَشُقُّ صفوفَهم
مِزَقاً تناثَرُ في هوانِ رِغابهِ
وغَفَوا على مُرِّ الهوانِ قلوبُهم
وهنٌ وعَزْمُهمُ هوانُ طِلابهِ
و تَداعَت الدُّنيا فكم من غاصِبٍ
نَهبَ الدّيارَ و عاد في أسلابهِ
أو غاصبٍ نَهبَ الديارَ ولم يزل
يَمْضي إلى عُدْوانهِ ونِهَابهِ
الساحةُ الخضراءُ أينَ رواؤها
غابَتْ على أطْلالهِ وبَبابهِ
تَتلفَّتُ الأطلالُ أين جموعُها
غابت ! و أين الزاحفون لِبابهِ
أيْنَ القِبابُ و أينَ غابَ أذانُه
ويْحي ! أضرَّ بنا طويلُ غيابهِ
و المؤمنون فأينَ عزّ خُشوعهم
و تِلاوةُ القرآن في محرابهِ ؟!

يا أمة الإسلام ! مالك غبت في
لهو و بين طعامه و شرابه
أين الجماهير التي دوت حنا
جرها له غضبا ؟ فيا لغضابه
أين الدعاة ؟! و كل داع عزمه
خطب تطول فيا لطول خطابه !
أين "العزائم" في الديار وعهدهم
أن ينهضوا لضرابه و غلابه
كسروا السيوف وحطموا أرماحهم
و عدوهم متمكن بحرابه
نزلوا إلى الميدان كل سلاحهم
حلو "البيان" و رقة "بعتابه"
و المسجد الأقصى يئن وساحه
ما بين مخلب ثعلب أو نابه
حرقوا منابره فكانت صيحة
طويت على هون وذل مصابه
فتحوا به نفقا تطول دروبه
و تغيب قصته على أسرابه

* * *

يا أمة الإسلام ! دونك ساحة
فوارة بدم ودفق عبابه
و أمامك الزحف المروع للعدا
ليل تهيج به الوحوش بغابه
خوضي ملاحمها بنهج محمد
صلى عليه الله ، أو بكتابه

• • •

صور قديمة تنطبق على الصور الجديدة :

العالم في حاجة إلى زعامة "العالم الإسلامي"

بقلم : سعادة الأستاذ المرحوم السيد محمد الحسني
(رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي" سابقاً)

العالم اليوم لا يحتاج إلى شئ بمثل ما يحتاج إلى زعامة "العالم الإسلامي" – أريد العالم الإسلامي في المعنى ؛ والحقيقة لا في الصورة ؛ والخريطة – لأنه اكتوى بنار حربين عالميتين مدمرتين ، وذاق مرارة الاستعباد والظلم والهمجية زمنا طويلا على يد القوى الكبرى ، ولا يزال يئن ألما تحت وطأة هذه القوى المستعمرة وثقلها ، لا يجد حيلة ولا يهتدي سبيلا ، وليست على وجه الأرض قوة مستقلة ، ذاتية أخرى تدفع عنه السوء ، وتحميه عن الظلم والعدوان ، وتحرسه عن مكائد أعداء الإنسانية ، أعداء الحق ، أعداء الإسلام .

إن هذه الدول الكبرى ؛ أو الشركة التجارية الكبرى ؛ أو شركة القمار والدمار – بتعبير أصح – ظلت منذ نشأتها خالية عن كل معنى من معاني الروح والقلب ، ولذة العاطفة والوجدان ، ونقاء الضمير ، وسلامة الصدر ، رغم تفوقها في المجال الصناعي ، فخسر العالم تحت رأيتها وسيطرتها أكثر مما ربح ، إنه خسر كل شئ يعتز به الإنسان ، وربح كل شئ يختص بالجماد أو الحيوان .

أضف إلى ذلك تلك الحروب الدموية ، والتعذيب الوحشي ؛ وإبادة الإنسانية بشتى أنواع الميكروبات والغازات السامة ، والأوبئة الخلقية ، والأدواء النفسية مما أدى إلى ازدياد حوادث الانتحار ؛ والجنون في العالم بشكل فظيع مروع .

من أجل ذلك فقدت الإنسانية أخيرا ، ثقتها بقادتها ، وهي تنتظر من يكشف غمتها ، وينقذها من هذا الوضع القاسي المزري ، والمصير المؤلم انتظار من برح به الشوق ، واشتدت به الحاجة ، واستبدت به الفاقة

والجدب والعطش ، ولعل هذا الوقت هو أصلح الأوقات ؛ وأحسنها لظهور هذه القوة الإسلامية على مسرح العالم الفكري والسياسي .

ولكن ظهور هذه القوة منوط – طبعاً – ببعض المقدمات والخطوات ؛ التي قد تسبق هذه العملية ، وأريد بهذه الخطوات صفاء أذهاننا ، وسلامة صدورنا وقوة إرادتنا وثقتنا بأن المستقبل لنا – إن شاء الله تعالى – .

وصفاء أذهاننا أن لا يكون هناك ريب أو شك في الغاية التي ننشدها ، و الأساليب التي اخترناها لبلوغها ، و أن تكون رؤيتنا واضحة نيرة ، متفائلة ، لا غبار عليها .. وحتى نعلم علم اليقين أن غايتنا أشرف غاية ، وأكرمها ، والإنسانية أحوج إليها اليوم أكثر من أي وقت مضى ، أما إذا علق بأذهاننا عالق أو سد طريقها عائق أو أصابها زيغ أو انحراف ، أو شك وارتياب ، فإن ذلك يضر – بالتالي – كياننا كله ، و أجهزتنا كلها ، وإن الأفكار والموجات الفكرية المختلفة ؛ والاتجاهات التي تغشى العالم العربي هي التي تحول – اليوم – دون رؤية الحقائق السافرة ، وهي منظارات ملونة على أعين المثقفين ؛ وغير المثقفين تحجب ما وراء هذه المنظارات ، ولذلك تختلف رؤية بعضنا عن بعض ، ورؤية فئة دون فئة بصورة متفشية ؛ وحجم أكبر ، والوصول إلى هدف أعلى ؛ وأسمى مثل هذا الهدف – أعني ظهور الكتلة الإسلامية – يقتضي أن تكون رؤيتنا – الآن – موحدة لا تنافر فيها ، مركزة لا تفتت فيها ، نيرة لا غبار عليها .

وسلامة صدورنا هي أن لا تدفعنا على هذا النضال الكريم الأغراض المادية ، والمصالح الشخصية ، والأحقاد السياسية ، والأنانيات البغيضة ، بل يكون عملنا وكفاحنا خالصاً لله ، فهي نقطة هامة تختلف بها الفئة المسلمة عن الكافرة ، أو الفئة المؤمنة القوية الإيمان عن التي ضعف إيمانها بالله تعالى ، ودخل قلبها الرياء ؛ وحب المنصب ؛ والجاه ؛ والشهرة ، ونسيت هدفها الأسمى ؛ ومقصدها الأسنى ؛ الذي قال الله تبارك وتعالى عنه في كتابه المجيد :

﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله * والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت * فقاتلوا أولياء الشيطان * إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾ .

وسلامة الصدور هي النقطة الأساسية في كل جهاد ؛ وكفاح ؛ ونضال عند المسلم ، فلا فائدة في فداء ليس في سبيل الله ، ولا أجر على شهادة كانت إظهاراً للبطولة ؛ ورغبة في المدح والثناء ، والأحاديث في هذا الباب مستفيضة يعرفها كل مثقف ، وحكم الإسلام في ذلك واضح بين ، لا غموض فيه ؛ ولا نزاع .

وقوة إرادتنا هي أن نصمد – بعد أن اتضحت الغايات ، وسلمت النيات أمام الشدائد والمكاره ، فإن مجرد هدف نبيل ؛ ومجرد نية سليمة ؛ و إخلاص ؛ لا يكفي ، فلابد معه من إرادة قوية لا تبالي بالعراقيل والعقبات ، والإخفاق والفشل ، بل تقاوم كل فشل وإخفاق بأمل جديد ؛ ونشاط جديد : ﴿ الذين قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم * فاخشوهم * فزادهم إيماناً * وقالوا : حسبنا الله * ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل * لم يمسسهم سوء * واتبعوا رضوان الله * والله ذو فضل عظيم ﴾ ، وجاء في موضع آخر من القرآن الكريم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! إذا لقيتم فئة * فاثبتوا * واذكروا الله كثيرا * لعلكم تفلحون ﴾ .

والثبات على جادة الحق ؛ وعلى خط المواجهة العسكرية والسياسية لأخذ الحق المهضوم ؛ والثأر للشعب المظلوم شرط لازم للنجاح المتوقع ؛ والغد المشرق المضمون .

وأخيرا ... الثقة بوعد الله ، الثقة بنصر الله ، الثقة بالنجاح والفلاح ، الثقة بالمستقبل ، الثقة بأن الله قادر على ردع المعتدين ؛ و رد تلك القوى المادية الهائلة على أعقابها خائبة خاسرة .

كنا نثق – أولا – بالاتحاد السوفيتي ، والولايات المتحدة ؛ فلم تغنيا عنا شيئا ، وتتابعت النكسات ؛ والويلات ؛ والشرور ؛ والآفات في أنحاء العالم العربي والإسلامي كله ، وتساقطت عليها كمواقع القطر ، كنا نثق بالقوة المادية ؛ والوسائل الحربية ، والعدد والعدد ، فلم تنفع كثرة العدد ؛ وقلة العدو ، وكنا نثق بالرأي العالمي ؛ فلم ينفع ، وبالدول غير

المنحازة ؛ فما صنعت لنا شيئا .

و اعتمدنا على الله مرة واحدة بعد سبع سنين من الحيرة ؛ و التخبط ؛ والظلام ؛ والتنكر للإسلام فرد إلينا اعتبارنا وكرامتنا .

إنها مقدمات ضرورية ؛ وخطوات جذرية ، ولبنات أساسية لكل بناء جديد ، إن انتصار العرب على إسرائيل في معركة العاشر من رمضان ؛ و وحدتهم الرائعة ، وشجاعتهم الباهرة ، وسلاح البترول الذي أرهب العالم ؛ وأقض مضاجع الغربيين ، والتجمعات الإسلامية ، والأمانة الإسلامية العامة ، وإنشاء بنك للتنمية والسعي ؛ نحو إقامة صناعات حربية عربية ثقيلة ، والاتفاقات العسكرية ؛ والتجارية الخطيرة ، والشعور المتزايد بضرورة الاتحاد والتنظيم ؛ والعمل بوحي من الإسلام ، وهدى من الإيمان ، ونور من كتاب الله ؛ وسنة رسوله ، تباشير فجر جديد ، قد لا نراها بوضوح في هذا الوقت ، ولكنها ستتحول ، – إن شاء الله تعالى – في زمن يسير إلى أضواء ساطعة ، تسير في ضوئها قوافل الإنسانية الحائرة .

إن حاجة العالم الخارجي إلى مثل هذا التضامن الإسلامي ؛ و وجود كتلة سياسية مستقلة ليست أقل من حاجة العالم الإسلامي إلى هذا النوع من التضامن ، وإلى ذلك الطراز الرفيع من القيادة ؛ واللون الفريد من الإصلاح ؛ والهداية .

إن الحضارة الغربية قد آذنت بالأفول والزوال ، وانتهى دورها ، ونضجت ثمارها ؛ وحان أوان قطافها ، وهي لا تستطيع أن تمد العالم بشئ جديد رائع ، وتتحفه بأهداف نبيلة ، ودوافع خيرة ، وأخلاق سامية ، و حياة نظيفة طيبة ، وقلب سليم ، وعقل نير ، وعاطفة قوية تحثه على الخير ، وتحمله على البر والمعروف ، وتحمل الإنسانية الغارقة المستغيثة على سفينة الأمن ؛ والإيمان ؛ والسلامة ؛ والإسلام .

وليست هناك دعوة سياسية أو حركة اجتماعية ؛ ونظرية فلسفية غير دين الله الخالد ، الإسلام الذي صرخ بأعلى صوته حتى دوت به الآفاق ، و ردد صداه الكون : ﴿ وتعاونوا على البرّ والتقوى * و لا تعاونوا على

الإثم والعدوان ﴾ حتى أصبح مبدأ عاما ، وعرفا شائعا ؛ وهتافا واضحا ، لكل من يريد الكفاح لدينه ، ويريد أن يخدم الإنسانية ؛ ويؤدي دوره الإسلامي ؛ و واجبه الإنساني ، فلا تباين بين الإنسانية والإسلام ؛ بل إنهما يعيشان كتوأمين بأمن وسلام .

إن هذه المسئولية لا تقع على عاتق الحكام فحسب ، بل إنها مسئولية الشعوب المسلمة أيضا ، وإنها مسئولية الشباب المسلم الواعي الثائر بوجه خاص أن يفهم خطورة الوضع ؛ ودقة المسئولية ، وعمق الواجب ، فيشعر أنه على رباط دائم ، وجهاد مستقل مع عدو النفس الذي بين جنبيه ؛ ومع العدو الشرش الغارق في العدوان بين يديه إلى أن يلقى ربه راضياً مرضياً ، قد أدى واجبه وأمانته بشجاعة وإخلاص ، وصدق ما عاهد الله عليه :

﴿ فمنهم من قضى نحبه * ومنهم من ينتظر * وما بدّلوا تبديلاً ﴾

بهذا الوعي الديني ، والوعي السياسي ، والانفتاح على العالم ، والإسهام في بناء الحضارة ، وقيادة البشرية ، والتوجيه الفكري والثقافي للشعوب الحائرة ، تستطيع الشعوب المسلمة المؤمنة ، وقيادتها الواعية الرشيدة الجريئة أن تحقق أحلام أبناء هذه الأمة بعد زمن طويل من اليأس ؛ والبؤس ؛ والحيرة ؛ والأسى ، وتصنع في أعوام قلائل ما ليس بالحسبان ما دامت صلة الأمة بالله قوية ، وثقها به سبحانه وتعالى وطيدة ، ومعرفتها بالجاهلية الحديثة واسعة وعميقة ، وإن ربك لبا المرصاد ، وهو كفيل بإحباط جهود الأعداء ؛ ومخططاتهم المنكرة التي يدبرونها على الصعيد الدولي ، ويريدون أن يصنعوا بالحرمين الشريفين ؛ وحرمتهما وشرفهما ما أرادها أبرهة ؛ وجيشه ببيت الله العتيق ، و رد القرآن الكريم واضح جلي لكل من في قلبه ذرة من شبهة في قدرة الله ؛ فإن قدرة الله لم تتغير ، بل إنما تغير خلق الله سبحانه وتعالى :

﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيل * ترميهم بحجارة من سجّيل * فجعلهم كعصف مأكول ﴾

[وصدق الله العلي العظيم]

أول حوار

مع خليفة الإمام أبي الحسن الندوي

بقلم : الدكتور غريب جمعة
(جدة)

الشيخ

الإمام أبو الحسن الندوي أمة في رجل ، فقد حباه الله بفضائل ؛ و خلال جمعت حوله القلوب ، و وضعت له القبول في الأرض ، فأصبح شخصية عالمية تقف في مقدمة :

العلماء الربانيين .
والدعاة المخلصين .
والمجاهدين الصابرين .
والمصلحين الملهمين .
والقادة المحنكين .
والعباد الزاهدين .

ولا نزكي على الله أحدا .

لذلك كان رحيله عن دنيانا فاجعة تتفطر لها القلوب ، وتنفلق لها الأكباد ، و لكنه قضاء الله الذي لا يكون معه إلا التسليم له سبحانه في كل حال ؛ وتلقى ما يرد من قبله بالقبول والامتثال .

وتطلعت الأبصار – في لهفة – تسبقها القلوب إلى جامعة ندوة العلماء بالهند ، عقيب ذلك الرحيل لتطمئن إلى أن غرس ذلك الإمام الجليل قد استوى على سوقه ليحمل أمانته ؛ ويواصل مسيرته في مجالات متعددة منها : العلمية ؛ والتعليمية ؛ والدعوية ؛ والاجتماعية ؛ والأدبية ، وغيرها كثير .

وكان لابد من الحوار مع خليفته في الرئاسة العامة لندوة العلماء سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، ولكاتب هذه السطور

صلة طيبة به – بحمد الله – منذ أكثر من عشر سنوات .

وما إن علمت بزيارته للبلد الحرام ؛ حتى سارعت إليه في الدار المتواضعة التي ينزل فيها – مؤثرا إياها على الفنادق الفخمة – وكانت هذه الدار منزلا (بضم الميم) محببا لسماحة الإمام الندوي ؛ وهي دار أحد تلاميذه العلماء ؛ سعادة الدكتور عبد الله عباس الندوي .

و لقيني الرجل بتواضع العلماء ؛ و آداب الكبراء ؛ و بشاشة الكرماء ، وطرحت عليه فكرة الحوار معه من أجل الفرض الذي تقدم ذكره ، فرحب كل الترحيب على كثرة مهامه ؛ ولقاءاته بمحبي ؛ وتلاميذ الإمام الندوي في مكة المكرمة ، وهم كثر ؛ والحمد لله ، وهم يرون شخصه الحبيب في سماحة الشيخ السيد محمد الرابع .

وعلى الرغم من كل ذلك ؛ فقد أكرم كاتب هذه السطور إكراما جعله يقول :

اللهم اغفر لي ما لا يعلمون .. إلخ ، وأصر أن يكون بجواره في السيارة التي تقله ، وفي لقائه بمحبيه ، ونعوذ بالله من تزكية للنفس ، ولكنه الخلق الكريم الذي نعترف به لصاحبه .

وكان إكرامه الأكبر حينما تفضل ؛ وأجاب عن جميع أسئلتي ؛ ولم يحذف منها سؤالا واحدا .

ولعلى بذلك أكون قد أديت شيئا من حق الإمام الراحل وحق خليفته وإخوانه في ندوة العلماء ، وحقك أخي القارئ ، ولا أطيل عليك ؛ فها هو ذا الحوار بين يديك .

ردود على أسئلة وجهت إلى الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي :

س. لو أردنا أن نقدم للقارئ بطاقة تعريف بسماحة شيخنا السيد محمد الرابع الندوي رئيس جامعة ندوة العلماء – خلفا لسماحة العلامة السيد أبي الحسن الندوي – فماذا تحتوي هذه البطاقة ؟ (المولد ، النشأة ، التعليم ،

المناصب التي توليتموها ، وما ترون إضافته) .

ج. أما هذا الكاتب فهو محمد الرابع بن السيد رشيد أحمد ، الحسني نسباً ؛ والندوي دراسة ، بدأت دراستي الأولية في البيت ، ولما بلغت سن الالتحاق إلى المدرسة أسندت أمي الإشراف على تعليمي إلى سماحة الشيخ الندوي ، وكانت شقيقته الكبرى ، فنشأت في مجال التعليم والتربية تحت إشراف سماحته وتوجيه أخيه الأكبر سعادة الدكتور الطبيب والعالم الشيخ عبد العلي الحسني أيضاً ، وأسرة والدي و والدتي واحدة ، يجتمعان في النسب في أجدادهما .

ولدت في قرية تكيه كلان دائرة الشاه علم الله الحسني بمديرية رائ بريلي بشمالي الهند ، وكان ميلادي في ١٩٢٩/١٠/١٧م ، تعلمت اللغة العربية من سماحته بصورة خاصة ثم درست في دار العلوم ندوة العلماء العلوم الدينية والاجتماعية والآداب ، وانتسبت إلى بعض الجامعات الإسلامية الأخرى أيضاً ، وذلك لفترات قصيرة ، وأتممت دراستي في دار العلوم ندوة العلماء بإكمال مرحلة الدراسات العليا فيها ، ثم عُينت معيداً ، ثم أستاذاً في قسم اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، وكان ذلك في أوائل الخمسينات من التاريخ الميلادي ، وزرت في سنة إحدى وخمسين بلاد الحجاز مع خالي الشيخ أبي الحسن رحمه الله ، وبعد أداء فريضة الحج تركني خالي رحمه الله فيها للاستفادة العلمية من مكتبات مكة المكرمة والمدينة المنورة ومن علمائهما ، وللاشتغال بما يسهل لي من العمل الدعوى ، فقضيت في ذلك أكثر من سنة .

ثم رجعت إلى دار العلوم ندوة العلماء لمواصلة العمل التعليمي في قسم اللغة العربية ، وصرت بعد عدة سنوات رئيساً للقسم ، ثم بعد سنوات عميداً لكلية اللغة العربية والدعوة ، ثم بعد سنوات مديراً لدار العلوم ندوة العلماء ، واختاروني بعد وفاة سماحة الشيخ أبي الحسن علي

الحسني الندوي رحمه الله تعالى لمنصب - ناظم - (الرئيس العام) لدار العلوم ندوة العلماء وغيرها من أقسام ندوة العلماء الأخرى ، وبالإضافة إلى ذلك اختارني المجلس التنفيذي للمجمع الإسلامي العلمي أيضا رئيسا له بعد أن كنت أمينا عاما له في حياة رئيسه سماحة أستاذنا الشيخ الندوي ، كما اختارني المجلس التنفيذي لمجلس التعليم الديني في أترابراديش أيضا رئيسا له بعد وفاة رئيسه سماحة الشيخ الندوي ، وأتمتع بالعضوية في رابطة الأدب الإسلامي العالمية ورئاسة مكتب البلدان الشرقية الهند وما حولها ، وبالعضوية في مركز آكسفورد للدراسات الإسلامية بجامعة آكسفورد بريطانيا ، وبالعضوية في طائفة من الجمعيات والمؤسسات ودور العلم والأدب ، ولله المنة والفضل .

س. ذكر سماحة العلامة السيد أبي الحسن الندوي في بعض كتبه أن لكم بعض المؤلفات ، و ربما كان بعضها بإشارة منه ؛ فما هي هذه المؤلفات ؟

ج. أما ما صدر لي من المؤلفات ؛ فهي كما يلي :

١- الأدب العربي بين عرض ونقد .	بالعربية
٢- منثورات من أدب العرب .	بالعربية
٣- معلم الإنشاء .	
٤- تاريخ الأدب العربي القسم الإسلامي	بالعربية
٥- مختار الشعر العربي (في مجلدين) .	بالعربية
٦- الأدب الإسلامي وصلته بالحياة .	بالعربية
٧- الأدب الإسلامي فكرته ومنهاجه .	بالعربية
٨- التربية والمجتمع .	بالعربية
٩- واقع الثقافة الإسلامية .	بالعربية
١٠- الأمة الإسلامية ومنجزاتها .	بالعربية
١١- في وطن الإمام البخاري	بالعربية

١٢- حج ومقامات حج . بالأردية
١٣- الدين والأدب . بالأردية
١٤- مقامات مقدسة . بالأردية
١٥- إسلامي شريعت ايک محكم قانون . بالأردية
١٦- شهران في أمريكا . بالأردية
١٧- أمت إسلامية ايک رهبر اور مثالي أمت. بالأردية
١٨- مسلمان اور تعليم . بالأردية
١٩- سمرقند وبخارى كي بازيافت . بالأردية
٢٠- سماج كي تعليم وتربيت . بالأردية
٢١- غبار كاروان بالأردية

إلى مؤلفات تنتظر الطبع والنشر - إن شاء الله تعالى - .

جـــوائز تقديرية :

= جائزة رئيس الجمهورية التقديرية على الإنتاج العلمي في اللغة العربية

= جائزة المجلس الهندي لأترابراديش التقديرية للمكانة العلمية .

س. قرأنا كثيرا في كتب الإمام السيد أبي الحسن النـــدوي أنكم كنتم رفيق أسفاره وساعده الأيمن في أمور كثيرة ، فهل لكم أن تحدثونا بشئ من التفصيل عن صلتكم بذلك الإمام الجليل وأثر هذه الصلة عليكم ؟

ج. إن رحلات سماحة أستاذنا الشيخ الندوي كانت بصـــورة غالبة في سبيل الدعوة أو للحضور في المجالس التأسيســـية أو الاستشـــارية للجامعات أو الجمعيات التعليمية ومراكز الدعوة ، أما ما كانت منـــها في خارج الهند فقد كان سماحته يختارني في أكثرها لمساعدته الشخصية ، وكـــان يستخدمني في شئون دعوية وأدبية كذلك ، وذلك أفادني كثيرا بـــالاطلاع على الأسلوب الدعوى والمنهج العلمي والحكمة والآداب التي كان سماحتـــه

ينتهجها في أعماله العلمية والأدبية والدعوية واللقاءات مع الشـــخصيات الهامة في الوطن الإسلامي المتنوع الأقطار، وقد أفادني ذلك في معرفتي بكـــل ذلك ليمكنني العمل بمقدار منه إذا وفقني الله لذلك فأكون جزءا أو مشاركا لمن يقومون بمواصلة عمل التعليم والتربية والدعوة الذي قام به سماحتـــه في حياته الطيبة .

س. لا شك أن انتقال الإمام الندوي إلى رحمة الله ترك فراغا فـي العالم الإسلامي عامة ، وفي الشعب المسلم الهندي خاصة ، فما هو تقييمكـم للأوضاع التي طرأت على الشعب المسلم الهندي بعد ذلك الرحيل ؟

ج. إن الهند مليئة بالقضايا المهمـــة والشـــائكة بالنســـبة إلى المسلمين ، وإلى تمسكهم والتـــزامهم بالتعليمـــات الدينيـــة والتوجيـــهات الإسلامية ، منها ما هي على الصعيد التعليمـــي ، وللمســـلمين أحـــزاب وجبهات وجامعات إسلامية تؤدي أدوارها في هذه المجـــالات المختلفـــة ، ولكن أكثرها متفرقة في المجال الاجتماعي ومنحـــازة ، كـــل إلى نفســـها ، وتصطدم آراؤها أحيانا فيما بينها ، وتختلف مناهجها وأهدافها ، كل علـــى حسب مصالحها الخاصة ، و فـــي هذا التفرق ضرر للمصلحة الإســـلامية العامة ، وكانت شخصية سماحة أستاذنا مقبولة لدى الجميع لســـعة أفقـــه واعتداله ولعدم انحيازه الحزبي ، ولتقديره لكل الجهود التي تبذل لمصلحـــة الإسلام أيا كان حزبها أو جمعيتها ، وكان يناصر ويساعد في الجهود البنـــاءة لمصلحة الإسلام والمسلمين ، فبلغ بذلك سماحته إلى درجة القبول لدى أكثر هذه الجمعيات ، وبخاصة عندما تفتقر الجمعيات الإسلامية إلى شخص واحـد يمثل المسلمين جميعا ، وكان أصحاب وجهات النظر الإســـلامية المختلفـــة ومسئولو الأحزاب كثيرا ما يتفقون على اسمه عندما يفتقرون إلى اسم واحـد لتمثيلهم ، ومن ذلك أنهم كانوا اختاروه رئيسا لهيئة الأحـــوال الشـــخصية

الإسلامية لعموم الهند التي قد اتفقت عليها جميع أصحاب وجهات النظر الإسلامية في الهند ، وقد استطاع سماحته بتمثيله الحكيم للمسلمين لدى الحكومة أداء دور عظيم جدا في بعض قضاياها الصعبة بل شبه المستحيلة في حلها بتعاون زملائه في الهيئة ، وفي مقدمتهم سماحة الشيخ منة الله الرحماني – رحمه الله تعالى – الأمين العالم السابق للهيئة ، وذلك بحكمته الخاصة وبمنهجه العلمي والدعوى الخالص ، ولذلك وجد المسلمين بعد وفاة سماحة الشيخ الندوي فراغا كبيرا رأوا لملئها اختيار عدة أشخاص على حسب اختلاف المجالات ونظرا للأوضاع والأحوال في البلاد ، والقضايا في بلد الهند لا تزال طالبة لكفاءات ممتازة ، نرجو من الله تعالى أن يوفقهم لأداء دور مطلوب منهم .

كان الناس قد رأوا سماحته أنه يتمتع باحترام كبير لدى ذوي النفوذ والتأثير على الأوضاع من أصحاب الزعامة والحكم كذلك ، وذلك لإخلاصه في خدمة الحق والأمة ، وزهادته فيما في أيدي الناس ، وذلك كان يساعده في سعيه لحل قضايا شائكة وصعبة بقدر ما لا يستطيع غيره من القادة ، كما كانت كلمة أصحاب النظر الإسلامي المختلفين تجتمع على شخصيته ، كما لا تجتمع على شخص آخر ، ولكن الأمور بيد الله ؛ وهو الذي يهيئ الأشخاص الأكفاء لأعمال عادية ، وخاصة وهو الذي يعوض المسلمين عمن يفارقونهم من أصحاب الكفاءات القيادية ، وأرجو أن توزيع المسئوليات على القادة حسب الكفاءات يسد الخلل الذي يحدث من وفاة شخصية تجمع أصحاب الاتجاهات المختلفة ، وتؤثر على أصحاب السلطة والحكم كذلك بخصائصها الفذة ، وهذا حل يختاره المسلمون في مثل هذا الحادث .

أما في خارج الهند ؛ فقد كان سماحته يقوم بجولات ويحضر

اجتماعات ، يتحدث فيها إلى أصحاب التأثير ؛ والنفوذ في البلاد ، وفيهم الملوك والوزراء ، وكان يسعى للفت أنظارهم إلى الأدواء التي تعرض الشعوب الإسلامية للخطر في كيانها الديني والثقافي والفكري ، ويسعى لتبصيرهم بما يجب على قادتها لصيانتها وحفظها وإعادتها إلى ماضيها العظيم الذي كانت الأمة الإسلامية فيه قائدة للأمم إلى المدنية الفاضلة ؛ والرقي العلمي المفيد للإنسانية والحضارة ، وذلك بمحاضراته التي كان يرتجلها بالعربية للعرب ، وبالأردية لأصحاب أردو ، وبكتاباته وتأليفاته ، وغالبية هذه المحاضرات ؛ والتأليفات مطبوعة ومعروفة .

ومما يبعث على مزيد من الأسف أن وفاة سماحته رافقت وفيات طائفة من قادة المسلمين ؛ والشخصيات البارزة في العالمين العربي ؛ وغير العربي ، ندعو الله سبحانه وتعالى أن يعوض المسلمين قادة أكفاء يملأون الفراغ الحاصل من هذه الوفيات .

س. ما هي أهم التحديات التي تواجه المسلمين في الهند وكيفية مواجهتها في نظركم ؟ وما هو المطلوب من المسلمين خارج الهند للوفاء بحق الأخوة في الإيمان والوحدة في الدين ؟

ج. إن أهم التحديات التي يواجهها المسلمون في الهند ؛ هي عديدة ومتنوعة ، منها ما هي في مجال التعليم العام حيث إن أولاد غير المسلمين من أغلبية سكان البلاد ينالون فرصا أكثر وأحسن للتعليم دون أولاد المسلمين ، ويأتي النقص في ذلك أولا من جهة تغافل رجال الحكم ؛ ومسئولي التعليم العام ؛ وهم أبناء الأغلبية غير المسلمين ، وهم قلما يحبون رقي المسلمين ، وقلما يساعدون أبناء المسلمين للتقدم في التعليم ، وبجنب ذلك يقع للمسلمين مانع آخر أيضا ، وهو أن التعليم العام في الهند مصطبغ بالصبغة العلمانية الممزوجة بالهندوسية المشركة ، فأولاد المسلمين يقعون منه

في خطر أيضا ، وذلك في شأن معتقداتهم الدينية ؛ ونظراتهم إلى تاريخهم الماضي ؛ ومنجزاته العظيمة ، وبذلك يقع من المسلمين أنفسهم أيضا التهاون في إدخال أولادهم في المدارس العامة بسرعة ، على كل ؛ فإن قادة المسلمين في الهند يواجهون مسئولية مزدوجة نحو تعليم أبناء المسلمين ، و هي أن يسعوا أولا أن ينال أولاد المسلمين فرصا متكافئة للتعليم مع غيرهم من أبناء الأغلبية ؛ حتى يستعدوا لمواجهة تحديات الحياة الراقية بكفاءة وقدرة ، وثانيا أن يكون أبناؤهم محفوظين في معتقداتهم ؛ ودينهم من التحول منها إلى غيرها .

فنظرا إلى هذا الوضع اختار قادة المسلمين العمل في مجالين : أولا : إنشاء مدارس للتعليم العام خاصة للمسلمين ، وذلك حق يعطيهم الدستور الهندي ، وثانيا : إنشاء مدارس جانبية إسلامية محدودة الوقت تقوم بملأ الفراغ الديني في تعليمهم العام لدى المدارس الحكومية والوطنية ، وتسد الفراغ وتقوم بدحض الدسائس المخالفة للإسلام .

ولقد حمل مسئولية هذا المجال الثاني مجلس التعليم الديني لأترابراديش بصورة خاصة ، وكان سماحة العلامة الشيخ الندوي رحمه الله ؛ رئيس هذا المجلس منذ إنشائه ، وكان يقوم بأداء مسئوليته في ذلك ، و كان سماحته بجنب ذلك يساعد أيضا قادة التعليم العام من المسلمين .

والمجال الثالث للتعليم ؛ هو إنشاء مدارس وجامعات إسلامية دينية لتخريج علماء ورجال الدين الإسلامي لسد حاجة المسلمين في العلوم الإسلامية ، والإفتاء ؛ والوعظ ؛ والإرشاد ، و قد قام علماء الإسلام بإنشاء المدارس والجامعات الشعبية لهذا الغرض في مختلف أنحاء الهند ، وهي أدت وتؤدي دورا فعالا ؛ ومفيدا في صيانة الدين الإسلامي ونشره ، ومنها جامعة دار العلوم ندوة العلماء أيضا ؛ وهي تمتاز من بينها بالجمع بين القديم

الصالح ؛ والجديد النافع بينما تكتفي المدارس والجامعات الدينية الأخرى بتعليم أصول الدين ؛ والشريعة الإسلامية دون أي مقدار من العلوم الاجتماعية والأدبية ، وبذلك يتخرج الطالب الديني منها بدون اطلاع واسع لعلوم الحياة ؛ وبدون معرفة لمعارف علمية عامة ، فبالشعور بهذا النقص كان قد أحس طائفة من علماء الدين المسلمين قبل قرن بحاجة إلى الجمع بين طرفي التعليم الديني والعام ، وأسسوا جمعية ندوة العلماء هذه للعمل بذلك .

نادت ندوة العلماء – بناء على ذلك – بإضافة ما لا غنى عنه من العلوم الإنسانية ؛ والعلوم الاجتماعية مع التعليم الواسع للعلوم الدينية ، ومع لغة أجنبية راقية ، لئلا يعجز الرجل العام الديني من إحراز المكانة اللائقة بين المتعلمين من معاصريه ، ونحمد الله تعالى على أن نداء ندوة العلماء أحرز الاستجابة ، فأنشئت مدارس على غرارها في أطراف البلاد ، وأنجبت ندوة العلماء من مركزها طائفة من العلماء الأقوياء في العلوم الدينية ؛ والمطلعين على معارف عمومية ، ومنهم سماحة العلامة الشيخ الندوي ، وهذه المدارس والجامعات الإسلامية الدينية ، سواء منها ما هي على المنهج القديم ؛ وما هي على المنهج الجامع تقوم بأعمالها بتعاون أهل الخير من المسلمين ، وهي تعجز بعض الأحيان من تحقيق كامل خططها لنقص في أوضاعها المادية ، ولكنها تؤدي دورا عظيما في صيانة الدين في سكان هذه البلاد المسلمين ، وتهيئ رجال الأمر ؛ والإرشاد ؛ والإفتاء ؛ والقيادة الدينية ، ولا يمكن ذلك من الخارج لأن عدد المسلمين في هذه البلاد ضخم جدا ؛ فقد أربى على مائة وخمسين مليون نسمة ، وهم رغم تعدادهم أقلية في البلاد ، والبلاد علمانية ، لا تهتم بحاجات الشعب الديني ؛ وخاصة المسلمين منه بقضاء حاجاتهم الإسلامية ، ولكنهم هم أنفسهم

يقومون – والحمد لله – بقضاء هذه الحاجة بإمكانياتهم الخاصة ، وبذلك تقع على المسلمين أنفسهم مسئولية كبيرة .

وبالإضافة إلى قضايا المسلمين التعليمية هناك قضايا أخرى هامة أيضا ؛ وهي تدور في مدار حاجاتهم الاجتماعية والوطنية ، وكلها تفتقر إلى قيادات حازمة ، والله ناصرهم ومعينهم ، كما أن هناك قضايا تنشأ من صلات أبناء الأقلية المسلمين بالأغلبية الهندوسية ؛ نظرا إلى أن فئات من الأغلبية ؛ إنما تعمل فيها عصبيات تنشأ من شعورها بالسيادة ؛ والأحقية في البلاد ، وبخاصة نحو الأقلية الإسلامية التي هي أكبر أقلية في البلاد ، فهي تسعى لبقاء شخصيتها بقيمها ودينها ، وأهم قضية من بين هذه القضايا هي المحافظة على أحوالها الشخصية ، وعلى تمسكها بالشريعة الإسلامية صيانة لها من الذوبان ؛ والانحراف لأنها في بحر من الطقوس ؛ والتعاليم المنحرفة والمشركة ، ولذلك أنشأ المسلمون هيئة جامعة للحفاظ على الأحوال الشخصية الإسلامية التي كافحت لها ، وكان رئيسا لها أخيرا سماحة العلامة الشيخ الندوي ، وقد قام سماحته على صعيدها بأداء دور عظيم ، فهذه هي قضايا هامة للمسلمين في الهند ؛ و هم يقومون بحلها تحت قيادات حاصلة لهم .

وأما حاجة مسلمي الهند إلى تعاون إخوانهم في الخارج ؛ فهي حصولهم على تعاونهم معهم في مشاكلهم الإسلامية ، ومناصرتهم فيها بطرق أدبية وعلمية وبمساعداتهم المادية كذلك ؛ ولكن ذلك بصورة لا تصطدم مع القوانين المتبعة في الدول .

[للحديث صلة]

* * *

قراءة للكتب :

إني مهاجر إلى ربي

بقلم : الأخ الأستاذ عبد الرشيد الندوى

إن للإمام ابن القيم رحمه الله كتابا قيما نافعا ممتعا ضخما ؛ سماه : "طريق الهجرتين وباب السعادتين" اختصره الأستاذ فؤاد شاكر محافظا على نص كلمات مؤلفه باسم : "إني مهاجر إلى ربي" وإنني طالعت هذا المختصر بكامله مرتين ، وبعضه أكثر من ذلك ؛ وأعجبت بما أودع فيه الإمام ابن القيم من أسلوب أخاذ ؛ ثم رأيت أن ألخص بعض معانيه في ثوب جديد محاكيا أسلوبه ناسجا على منواله مستمدا مقتبسا من عباراته في بعض الأحيان . و "أنى يدرك الظالع شأو الضليع" . "الكاتب"

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام ، على سيد المرسلين ، محمد و على آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فإن العباد كلهم فقراء محتاجون إلى ربهم الغني الحميد الفرد الصمد : ﴿ يا أيها الناس ! أنتم الفقراء إلى الله * والله هو الغني الحميد ﴾ ، وذلك لأن صفات الضعف والنقص والعجز والجهل ، ودواعي التذلل و الخضوع والتضرع والتمسكن كاملة وموفورة في العبد بينما ربهم – جل جلاله وعز شأنه – متفرد بالقوة ؛ والكمال ؛ والعزة ؛ والجلال ؛ ومستغن بقدرته ؛ وكبريائه ؛ وعظمته ؛ وهيمنته عن كل ما سواه ، إلا أن من الناس من يعمي ؛ أو يتعامى عن حقيقته ، ويغفل عن ذاته ؛ فلا يستحضر هذا الفقر والحاجة ، ولا يعرف هذه الضرورة والفاقة ، وذلك شقاء كل شقاء ؛ وخسارة أي خسارة ! كما روى الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح عن بسر بن جحاش القرشي ﷺ : "أن النبي الكريم ﷺ فرق يوما في كفه فوضع عليها إصبعه ؛ ثم قال : قال الله تعالى : "ابن آدم أنى تعجزني ؛ وقد خلقتك من مثل هذه حتى سويتك ؛ وعدلتك ، مشيت بين بردين ، وللأرض منك وئيد ، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي ؛ قلت : أتصدق وأنى أوان الصدقة !" (١) ، وعن عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم : أن رسول الله ﷺ ، قال : "بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه رجل جمته إذ خسف به ؛ فهو يتجلجل إلى يوم القيامة" (٢) .

(١) مسند أحمد : ج/٤ ، ص/٢١٠ .
(٢) صحيح البخاري ، رقم الحديث/٥٧٨٩ .

والسعيد الحظي من عرف حقيقته ، وشهد على نفسه بهذا الافتقار والاحتياج ، ثم عرف ربه وأسماءه وصفاته ، فتحركت في نفسه الإرادة القوية والرغبة الشديدة ليتخذ إلى ربه سبيلا ، ويبتغي إليه الوسيلة ، وصدقت لذلك عزيمته ؛ وتأهبت نفسه ، واجتمع عليه عقله وقلبه ؛ وعكفت همته ؛ وانقطع إليه كله ؛ فلما رأى الله عزوجل من عبده هذا الطلب - وهو الكريم الرؤوف الرحيم - أعانه وأخذ إليه بيده ، وقد أخبرنا عنه تعالى رسوله الصادق المصدوق ﷺ : "إذا تقرب العبد إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ، و إذا تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا ، و إذا أتاني يمشي أتيته هرولة" (٣) .

فطوبى له ! وبجده فليفرح ، وبحظه فليغتبط ! وليتجه إلى غايته مشمرا متزودا لطريقه بزادين : العلم والعمل ، فيعرف بنور العلم الطريق ، وما يعرض فيها من وهاد ونجاد ؛ ومن أهوال وأخطار شداد ، ويرى الأعلام المنصوبة ؛ والصوى القائمة حتى يكون على بينة من أمره ، ولا يكون كالذي يمشي في نفق مظلم طويل ، وأما القوة العملية ؛ فبها يسلك الطريق ؛ ويجدّ في السير ؛ ويقطع المراحل ؛ ويجتاز المنازل .

وعليه أن يتخلى من نفسه وهواه ؛ ويتبرأ من حاله بالكلية ؛ فلا اغترار بالعبادات والأذكار ؛ ولا نظر إلى العلوم والمعارف ؛ ولا استكبار بالذوق و العرفان ؛ والأحوال والوجدان ، وإنما كله انكسار ولجوء ؛ وحب ؛ وشوق ؛ وتفويض ؛ وتسليم ، قد سلم إلى مولاه المبيع منتظرا منه تسليم الثمن : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم * بأن لهم الجنة ﴾ ، وما أحسن ما جاء في أحوال الشيخ أبي القاسم الجنيد البغدادي رحمه الله : "أنه رؤي في المنام ؛ فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : طاحت تلك الإشارات ؛ وغابت تلك العبارات ؛ وفنيت تلك العلوم ؛ ونفدت تلك الرسوم ، وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها في الأسحار (٤) .

(٣) رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه ، رقم/٧٥٣٦ .

(٤) تاريخ بغداد : ٢٤٨/٧ .

ثم على هذا العبد أن ينشئ في نفسه عزما وهمة ، وسعيا وصرامة ؛ يضع عصاه على عاتقه مسافرا مهاجرا إلى ربه ، ثم لا يلوي على شئ ، و لا يلتفت يميناً ولا شمالاً يسخر من العوائق والعقبات ، ويهزأ بالشواغل والمثبطات ، يحث المطيّ بالخوف ؛ والرجاء ؛ والدعاء ؛ والالتجاء ، ويحدو الركائب بحداء الشوق والحنين ؛ حتى تزداد خفة ونشاطا؛ ومرحا وطربا ، فيطيب السفر ؛ ويلذ هذا النصب والسهر ، ويحلو ذاك الجوع والعطش ، وليقل لنفسه : يا نفس ! اصبري ساعة ؛ ولا تنقطعي في الطريق ؛ ولا تجزعي من المشاق و المتاعب ، فإنها عوارض ستزول ، وها هو ذا قد قرب المنزل ودنا التلاقي ! وسوف تبدو لك الخيام ، ويلقاك الأحبة بالترحاب والإكرام ؛ والتحية والسلام : ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين * يقولون : سلام عليكم * ادخلوا الجنة * بما كنتم تعملون ﴾ وعند ذلك يتبدل الخوف أمنا ؛ والجوع والظمأ شبعا وريا ؛ والوحشة أنسا وألفة ، وهنالك تغتبطين بالمسير ، وتهتزين بنشوة اللقاء ، وفرحة الوصال ، وتحمدين مسراك "وعند الصباح يحمد القوم السرى" ، وسوف يقول لك ربك الكريم : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ! ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾ انتهى "من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ؛ ألا إن سلعة الله الجنة " (٥) .

فحي على جنات عدن فإنها
منازلك الأولى و فيها المخيم
وحي على روضاتها و خيامها
وحي على عيش بها ليس يسأم
وحي على يوم المزيد وموعد الـ
ـمحبين طوبى للذي هو منهم
و حي على وأد بها هو أفيح
و تربته من أذفر المسك أعظم
يرون به الرحمن جل جلاله
كرؤية بدر التم لا يتوهم

(٥) حديث رواه الترمذي ، رقم/٢٤٥٠ ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

إصدارات حديثة :

أهدت إلينا الإكاديمية الفرقانية

مجموعة من إصداراتها الجديدة باللغة الأردية : ومن بينها :

١ـ كتاب : (المنظور القرآني للعلم ، في ضوء الاكتشافات العلمية) بقلم فضيلة الشيخ محمد شهاب الدين الندوي (رحمه الله) .

هذا الكتاب يحتوي على بابين اثنين :

١- الباب الأول عن الإسلام ؛ والعقلية الجديدة ، تحدث فيه المؤلف المرحوم عن دور الإسلام التاريخي للقضاء على المادية ، وذكر مأثرة الإسلام الحقيقية حول الجمع بين العلم والدين ؛ والعقل ؛ والعقيدة ، وتناول عملية التقليد الجامد بالذم ، واستدل على ذلك بآيات من القرآن الكريم ، ثم تدرج إلى توفير الدلائل العقلية والعلمية على وجود الله الواحد القهار ، وأيدها بآيات من كتاب الله تبارك وتعالى ، وقال : من هنالك إبتدأ دور التفكير ؛ واستعمال العقل ؛ وحدثت ثورة فكرية استغلتها أوربا لدعم رؤيتها نحو الحياة والكون ، واستنبطت منها نتائج علمية في التقدم إلى ميادين العلم بخطى حثيثة .

هذا الباب يشمل الحديث عن براءة علماء الطبيعة عن المادية ، والترابط بين الطبيعة وما بعد الطبيعة ، وإثبات أبدية العلم الإلهي ، وعن العلم والأخلاق ، والقرآن الكريم في ميزان العلم ، وإبطال الهتاف بتقديم نظام للحياة الإنسانية بالاستغناء عن هداية الله تعالى على مجرد أساس العلوم التجريبية ، فإن الله سبحانه وتعالى يتحدى العالم البشري أن يأتي بشئ يساوي أحقر ذرة من خلق الله : ﴿ إن الذين تدعون من دون الله * لن يخلقوا ذبابا * ولو اجتمعوا له * وإن يسلبهم الذباب شيئا * لا يستنقذوه منه * ضعف الطالب والمطلوب ﴾ .

وتحدث المؤلف الفقيد عن فلسفات العصر الجديدة في ضوء الحقائق

والدلائل ، وأثبت أنها بأقسامها الأربعة ؛ وهي : الثنوية ، والتصورية ، والمادية ، واللاأدرية ، لا تغني عن العلم الإلهي شيئا .

أما الباب الثاني ؛ فإنه يحتوي على العلوم الطبيعية ، ورؤية القرآن الكريم نحو العلم ، والتوافق المدهش بين الوحي والعلم ، والدليل العلمي على صدق القرآن الكريم وحقيته ، وعلى التصورات العلمية للقرآن الكريم ، وبعض الحقائق عن النوع البشري .

لقد تحدث عن الموضوع في ضوء آيات كتاب الله تعالى ، واستنباط النتائج العلمية منها مع الإشارة إلى النظريات العلمية الجديدة ، وإبطال ما يعارض منها الواقع ، وكل ذلك في أسلوب تحقيقي ودراسي رصين .

٢- والكتاب الثاني باسم :
(نظام الدلائل للقرآن الكريم ؛ وانتفاضة الأمة الإسلامية)

يحتوي الكتاب على أربعة أبواب مهمة :

الباب الأول : دلائل الربوبية ؛ وخلافة الأرض ، تحدث فيه المؤلف المرحوم عن هذا الموضوع في ضوء سورة النور من كتاب الله تعالى ، واكتشف فيها بعض الحقائق المدهشة حول عجائب الربوبية ، والانسجام بين الفطرة الإنسانية ؛ وشريعة الله تعالى ، وبين الفرق المبين بين المادية والعلم ، وأثبت أن كتاب الله تعالى آخر حجة ودليل على الصفات التكوينية للكائنات الإلهية .

والباب الثاني : يتحدث عن القرآن الكريم ككتاب هداية من جميع الاعتبارات .

والباب الثالث : يشير فيه المؤلف رحمه الله إلى بعض الأصول ، والقواعد للعلوم التجريبية التي تتوقف عليها الخلافة في الأرض .

كما أن الباب الرابع : يبحث عن أهمية العلوم الطبيعية في ضوء أصول الفقه الإسلامي وعن تأثيرها الأساسي في بناء المجتمع الأفضل ، ثم يشير إلى السبب الرئيسي لشقاء الأمة وانحطاطها .

وقد صدر هذان الكتابان بعد وفاة المؤلف الكريم رحمه الله تعالى ،

وعُني بطبعهما خلفه في جميع أعماله التأليفية ؛ ومسئوليات الإكاديمية ، وهو نجله العزيز الأستاذ سعيد الرحمن الندوي ؛ حفظه الله و وفقه لما يحبه ويرضاه .

نرجو أن يتسع نطاق الإكاديمية ونشاطه في عهده ، وينال الازدهار والقبول بمشيئة الله تعالى .

٣- (مطالعة الشعر والأدب)

صدر هذا الكتاب باللغة الأردية بقلم الأديب الفاضل البروفيسور محسن عثماني الندوي ، وهو مجموعة من مقالاته الأدبية والعلمية القيمة التي كتبها في مناسبات أدبية ولندوات علمية بين حين وآخر ، ومعظم هذه المقالات كتبت وقُدمت في ندوات رابطة الأدب الإسلامي العالمية التي يرأسها في القارة الهندية ؛ ودول شرق آسيا : سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ؛ رئيس ندوة العلماء العام .

ولهذه المقالات قيمة أدبية وتاريخية علمية لا يستغني عنها الأدباء والكتاب والباحثون في مجال العلم والأدب والشعر والكتابة الأدبية ، وكفى بالكتاب اعتباراً وأهمية أن رابطة الأدب الإسلامي العالمية ؛ هي التي تولت نشره وتوزيعه .

٤- عكس جمال (مجموعة شعرية)

مجموعة شعرية جميلة مترجمة من المنظومات العربية بقلم الأستاذ الفاضل الشاعر المطبوع محمد أظهر غوري الندوي ، وهي كذلك باللغة الأردية ، والمجموعة تحوي موضوعات شعرية ومنظومات أدبية من اللغة العربية يغلب عليها روح الدين والأخلاق ، ولون الانعكاسات الشعرية الجميلة الفنية ، التي تبرهن على روح الموضوعية التي توخاها الشاعر من خلال تراجمه الشعرية ، ذلك أن المجموعة هي في الواقع ترجمة أردية لمنظومات شعرية عربية ؛ كساها الشاعر لباس الشعر الأردي مع إضفاء اللون الشعري الثابت عليها الذي يتميز به الشعر الأردي ، وقد يكون ذلك أول جهد أدبي يفتح طريقاً أدبياً متميزاً للشعراء والأدباء المشتغلين بهذا الفن ، وللأستاذ الغوري مجموعات شعرية عديدة ذات أصالة وجمال فني .

* * *

البعث الإسلامي
دار العلوم ندوة العلماء لكناؤ (الهند)
ص.ب ٩٣
هاتف : ٧٨٨١٦٦-٧٨٧٢٥٠
رقم الفاكس : ٠٥٢٢-٧٨٧٣١٠

ALBAAS-EL-ISLAMI
DARUL ULOOM NADWATUL ULAMA
P. O. Box : No. 93, Lucknow (India)
Phones : 787250-788166
Fax : 0522-787310

رسالة أخوية مهمة

حفظه الله تعالى للإسلام

حضرة الأخ القارئ الكريم !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فنتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعون من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٤٥/عاماً بالاستمرار ، وهي الآن في عامها السادس والأربعين - والحمد لله - .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفة باهظة ، وهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي منكم ، وببذل شئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم : (ALBAAS-EL-ISLAMI) .

بالعنوان التالي :

مكتب "البعث الإسلامي"
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء - ص. ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ص. ب٩٣ - مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء - لكناؤ (الهند)